المقتطف

الجزء العاشر من المجلد السادس والعشرين

١ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠١ — الموافق ١٨ جمادى الثانية سنة ١٣١٩

مراصد الافلاك

اوَّل انسان نظر الى السماء وراقب شمسها وقمرها ونجومها وكواكبها هو اول من رصد الافلاك . فالرصد قديم اشتغل بهِ الناس منذ الوف من السنين حتى يقال عن ثقة ان اهرام مصر وابراج بابل كانت مراصد للافلاك كما كانت مدافن للاموات وهياكل للعبادة . ولكن اوَّل مرصد انشئ لمراقبة الافلاك مراقبةً علميَّة دقيقة هو في ما نعلم مرصد الاسكندرية انشأهُ البطالسة في القرن الثالث قبل المسيح وبقي قائماً فيها الى القرن الثاني بعدهُ . هناك اكتشف هبَرخُس الفيلسوف مبادرة الاعتدالين اي انتقال النقطتين اللتين تتاطع فيهما دائرة البروج وخط الاستواء من الشرق الى الغرب فينتج عن انتقالهما اختلاف مواقع النجوم نحو دقيقة كل سنة . وبحث ايضاً عن حركات الشمس والقمر والسيَّارات . وخلفهُ رجال مختلفون ساروا في خطتهِ الى ان قام خاتمتهم بطليموس وجمع زبدة معارفهم وما وصلوا اليهِ بالرصد والبحث في كتابهِ المعروف بالمجسطي الذي بقي معتمد علماء الفلك الى عهد نصير الدين الطوسي

ثم ضعف شأن العلم وقويت سلطة الوهم وقام العرب وفتحوا الاقطار فلَّما تمهَّدت لهم استخدموا علماء الشام والعراق لترجمة كتب اليونان في العلم والفلسفة وانشأ الخليفة المأمون مرصداً بظاهر دمشق في جبل قاسيون لرصد الاجرام السموية والاحداث الجويَّة وبنى مرصداً آخر في بغداد لهذه الغاية وكان ذلك في اوائل القرن التاسع . وقام بعدهُ محمد بن جابر البتَّاني صاحب الزيج الصابي وهو من امراء الشام وولد ببتَّان من اعمال حرَّان واليها ينسب واقام بالرقَّة من العراق ورصد بانطاكية وقرأ كتاب بطليموس وتمرَّن على اساليب اليونان في الرصد فلما شرع في رصد النجوم وجد ان كثيراً منها في غير الاماكن التي ذكرها فيها بطليموس

بسبب خطاء بطليموس في حساب مبادرة الاعتدالين فدقق فيها اكثر منهُ . ودقق ايضاً في معرفة اهليلجيَّة فلك الشمس والنتيجة التي وصل اليها تنطبق على النتيجة المعروفة الآن . وقال ان نقطة الراس في فلك الشمس تتقدَّم بتغيُّر الفصول وهو اكتشاف مهم في علم الفلك ثبت بعدئذٍ بقواعد الجاذبيَّة . واثبت الكواكب الثابتة في زيجهِ لسنة ٢٩٩ هجرية الموافقة سنة ٩١١ مسيحيَّة و يقال انهُ ابتدأَ بالرصد من سنة ٢٦٤ وانتهى سنة ٣٠٦ فرصد الافلاك اثنتين واربعين سنة

وبنى الخليفة الحاكم بامر الله الفاطمي مرصدًا على جبل المقطم بظاهر القاهرة للفلكيّ الشهير عبد الرحمن بن يونس المصري فصنع لهُ الزيج الحاكمي في اربعة مجلدات كبيرة بيَّن فيها مواقع الشمس والقمر والسيَّارات وحسب ميل دائرة البروج ٣٥َ ٢٣° فاخطأَ بنحو نصف دقيقة

وكان الصينيون قد عرفوا هذا الميل ومقدار اختلافهِ قبل المسيح بالف ومئة سنة وعرفهُ المصريون والبابليون ايضاً ولذلك زعم البابليون انهم رصدوا الافلاك قبل الاسكندر بنحو ٤٠٣٠٠٠ سنة اذ حسبوا ان هذا الميل يقل نحو دقيقة كل مئة سنة وان دائرة البروج كانت عمودية على خط الاستواء حينما شرعوا في الرصد كما زعم المصريون قبلهم . والحال ان هذا الميل لا يزيد على ٥٣َ ٢٣° ولا ينقص عن ٥٤َ ٢٢° كما اثبتهُ المتأخرون فبلغ معظمهُ سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح وسيبلغ اقلهُ سنة ٦٦٠٠ بعد المسيح

ورصد ابن يونس كسوفين وخسوفاً سنة ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ فاكتشف منها تسارع حركة القمر قبل ان اكتشفها هالي الفلكي من مقابلة الكسوفات التي رصدها الكلدانيون في بابل في القرن الثامن قبل المسيح بالكسوفات التي رصدها علماء العرب في القرن الثامن والتاسع بعدهُ

واقتفى خانات المغول وملوك التتر آثار الخلفاء العباسيين والعلويين في اقامة المراصد فانشأ هولاكو مرصد مراغة في الشمال الغربي من بلاد فارس سنة ١٢٦٠ للمسيح واقام فيهِ نصير الدين الطوسي فصنع لهُ الزيج الخاني واصلح القواعد التي يعرف بها مبدأ السنة

وخُتم علم الهيئة ورصد الافلاك في بلاد المشرق باولغ بك حفيد تيمورلنك التتري الذي خلف اباه شاه رخ سنة ١٤٤٧ للميلاد فانهُ رغَّب العلماء في درس الفلك وكان هو من المشاركين فيهِ وانشأ مرصدًا كبيرًا في سمرقند وضع فيهِ اعظم آلات الرصد وادقها ونصب عمودًا ارتفاعهُ ١٨٠ قدماً او ٥٥ مترًا حقق بهِ ميل دائرة البروج حينئذٍ فوجدهُ ٢٠ً ٣٠َ ٢٣°

فاخطأ الحقيقة بنحو ١٣ ثانية فقط اذا كان هذا الميل يقل ٤٨ ثانية كل مئة سنة . وهو تدقيق لا مثيل لهُ . ولاولغ بك زيج مشهور صنعهُ هو والذين كانوا يساعدونهُ من علماء الرصد وضعهُ في العربيَّة ثم ترجم الى الفارسيَّة واللاتينيَّة

ولم تكد شمس المعارف تغيب عن ربوع المشرق حتى اشرقت في ديار المغرب فانشئ فيها اول مرصد فلكي سنة ١٤٧٢ في نورمبرج انشأهُ رجل غني من اهاليها واستخدم للرصد فيهِ الفلكي رجيومونتانوس فاصلح آلات الرصد وظلَّ الفلك العملي مستعملاً فيهِ الى سنة ١٥٠٤ ثم قام تيخو براهي الاسوجي الاصل الدنماركي الدار ودرس علم الفلك على ما كان معروفًا في عصرهِ فبنى لهُ فردرك الثاني ملك الدنمارك مرصدًا في جزيرة هيون وقطع لهُ مالاً طائلاً لكي ينقطع للرصد فرغَّب الناس في رصد الافلاك حتى صارت المدارس العالية تتبارى في انشاء المراصد هي والدول الكبيرة وعكف علماء الهيئة على اتقان آلات الرصد حتى عرفوا بها اجرام الكواكب وابعادها وحركاتها واثقالها والعناصر التي تتألَّف منها

اما المراصد الاوربيَّة الباقية الى الآن فاقدمها مرصد مدرسة ليدن الجامعة انشئ سنة ١٦٣٢ ولكن كانت آلات الرصد فيهِ صغيرة لم ينتج منها فائدة تذكر الى ان وضعت فيهِ آلات كبيرة سنة ١٨٣٧

ويتلوهُ مرصد كوبنهاغن انشئ سنة ١٦٤١ على رأس برج عالٍ وحُرق سنة ١٧٢٨ ثم جدّد سنة ١٧٤١ ولم يكن موضعهُ صالحًا للرصد فانشئ فيها مرصد غيرهُ سنة ١٨٦١

ثم مرصد باريس انشئ سنة ١٦٦٧ واشتهر بارصاد كاسيني حتى صار اشهر مراصد الدنيا ثم أُهمل امرهُ الى ان قام لافريه سنة ١٨٥٤ وادارهُ بهمتهِ المشهورة . وفيهِ نظارة كاسرة قطر بلورتها ٢٩ عقدة ونظارة عاكسة قطر مرآتها اربع اقدام واذا نقلت اليهِ نظارة معرض باريس صار فيهِ اكبر نظارة كاسرة صُنعت حتى الآن

ومرصد غرينوتش ببلاد الانكليز انشئ سنة ١٦٧٥ . وهو من اشهر مراصد الدنيا . ومرصد اكسفرد انشئ سنة ١٧٧١ . ومن المراصد الكثيرة في بلاد الانكليز مرصد ارل روص وفيهِ نظارتهُ المشهورة وقطر مرآتها ست اقدام انكليزية وبعد محترقها ٥٤ قدمًا . وهي اكبر النظارات العاكسة . ومرصد السر وليم هرشل وفيهِ نظارتهُ الكبيرة التي قطر مرآتها اربع اقدام وبعد محترقها اربعون قدمًا

ومن المراصد القديمة المشهورة مرصد برلين انشئ سنة ١٧٠٥ ومرصد ليبسك انشئ سنة ١٧٨٧ ومرصد فينا انشئ سنة ١٧٥٦

ومن مراصد ايطاليا المشهورة مرصد بولونا أُنشئ سنة ١٧٢٤ ومرصد بادوى أُنشئ سنة ١٧٦١ ومرصد تورين انشئ سنة ١٧٦٣ ومرصد رومية انشئ سنة ١٧٨٧

اما النظارات الكبيرة فهذه اشهر الكاسرات منها

نظارة	معرض باريس	قطر بلورتها	٥٠	عقدة
»	باركس باميركا	»	٤٠	»
»	لك	»	٣٦	»
»	بلكوڤا بروسيا	»	٣٠	»
»	نيس بفرنسا	»	٢٩٫٩	»
»	باريس	»	٢٨٫٩	»
»	غرينوتش بانكلترا	»	٢٨	»
»	فينا بالنمسا	»	٢٧	»

واشهر النظارات ذات المرآة العاكسة ما يأتي

نظارة	ارل روص	قطر مرآتها	٦	اقدام
»	الدكتور كمون	»	٥	»
»	السر وليم هرشل	»	٤	»
»	ملبرن	»	٤	»
»	باريس	»	٤	»

ومنذ عهد قريب عادت اشعة شمس العلم فبزغت في ربوع المشرق فأُنشئ فيها المرصد الخديوي في القاهرة ومرصد لي التابع للمدرسة الكلية الاميركية في بيروت وهو المرسوم في صدر هذا الجزء انشئ سنة ١٨٧٤ وجدّد سنة ١٨٩٣ وفيهِ قبة قطرها ٢٣ قدماً ونظارة كاسرة قطر بلورتها ١٢ عقدة وبعد محترقها ١٥ قدماً وفيها كل ما يلزم للرصد من آلات القياس والتصوير تدار بآلات ساعة وتنار بالنور الكهربائي . وفي هذا المرصد ايضاً آلات كثيرة مما يلزم للارصاد الفلكية الدقيقة كالساعات ونظارات العبور . وكل ما يلزم للارصاد الجوية كمقاييس الحرارة والرطوبة والمطر وسرعة الرياح وضغط الهواء . وترصد فيهِ الاحداث الجوية ثلاثاً في اليوم على مدار السنة وترسل هذه الارصاد بالتلغراف الى الاستانة وڤينا وباريس ولندن ووشنطون وغير ذلك من المراصد الشهيرة . وقد اضيف اليها حديثاً آلات رصد الزلازل وارتجاف الارض . ويتمرن التلامذة على استعمال هذه الآلات حينما يقرنون العلم بالعمل

اما مرصد القاهرة فبعيد عن مدارسها ولذلك قلما يستفيد منهُ تلامذتها وسنفرد لهُ مقالة خاصة في فرصة اخرى

والعبرة في المراصد ليس في بنائها بل في آلات الرصد التي تُستعمل فيها وقد كانت هذه آلات على غاية السذاجة في الازمنة الغابرة لا تزيد على الربع والاسطرلاب فبلغت الآن من الاتقان والتدقيق ما يعجز القلم عن وصفهِ . ولا نرى بين مصنوعات البشر ما أُتقن اتقان آلات الرصد فما المحراث الخشبي الذي تحرث بهِ اراضي السودان بالنسبة الى المحراث الكهربائي . ولا العرَبة التي تجرها بغال الحجَّارة بالنسبة الى قواطر سكة الحديد . ولا اكواخ القصب والطين بالنسبة الى قصور الملوك وما فيها من الاثاث والرياش بابعد من نسبة آلات الرصد التي استعملها الطوسي والبتاني وابن يونس الى الآلات المنصوبة اليوم في مرصد بيروت ومرصد القاهرة .

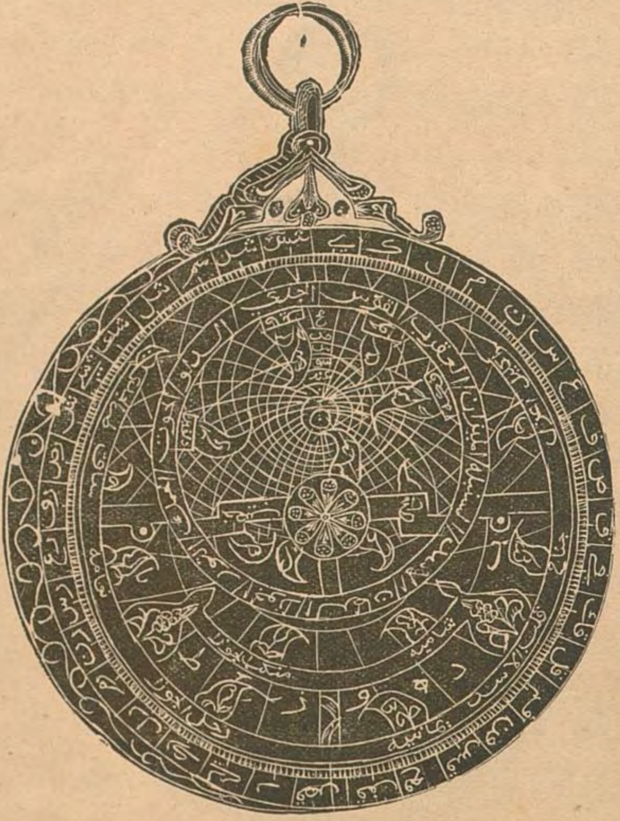

وجه الاسطرلاب

انظر الى شكل الاسطرلاب المرسوم ههنا من وجههِ وظهرهِ وهو بحجمهِ الطبيعي وقابلهُ بنظارة طولها عشرة امتار او اكثر تديرها آلة ساعية مع الافلاك تكبّر القمر حتي تظهر جبالهُ ووهادهُ وفوهات براكينهِ وتحل نور النجوم وتدلُّ على ما فيها من العناصر الكيماوية وحولها من آلات التصوير والتوقيت والقياس ما تنذهل من دقتهِ العقول ترَ مقدار ما ارتقى هذا العلم بعد ان وصل الى الاور بيين كل ذلك والرغبة فيهِ رغبة علميَّة محضة وهو مطلوب لذاتهِ لا لمنفعة مادية منهُ. وقد

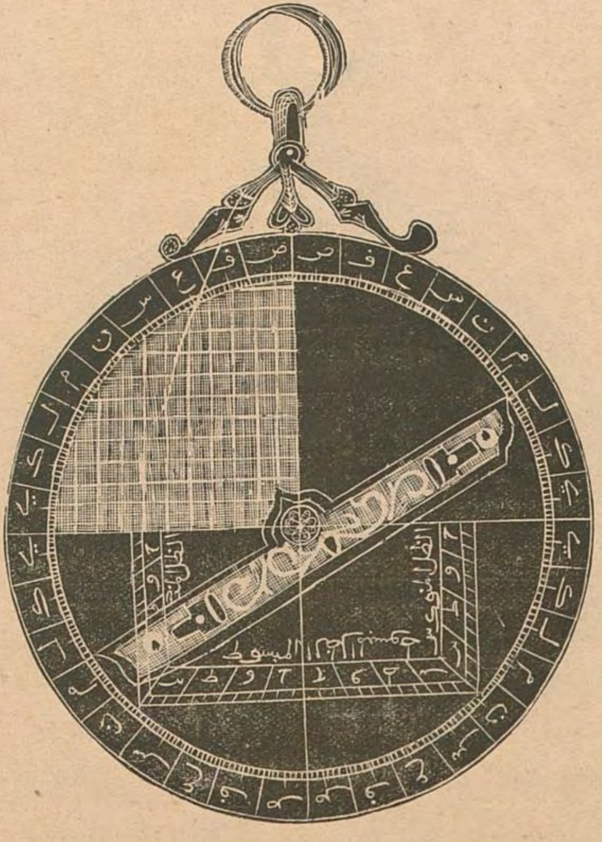

ظهر الاسطرلاب

اخذ العرب الاسطرلاب عن اليونان وظلوا يصنعونهُ ويستعملونهُ نحو الف سنة فلم يزيدوا فيهِ اشياء تذكر اما الاوربيون فابلغوا آلات الرصد هذا المبلغ العظيم من الكثرة والاتقان في اقل من مئتي عام ولهم كل يوم اختراع جديد واستنباط مفيد

مجمع ترقية العلوم البريطاني

وخطبة الرئاسة

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة غلاسغو بسكوتلندا في الحادي عشر من سبتمبر وخطب فيهِ رئيسهُ الاستاذ ركَّر خطبة الرئاسة. ثم انقسم اعضاؤُهُ الى فروعهِ المختلفة وخطب رئيس كل فرع خطبة الرئاسة فيهِ وتُليت المقالات ودارت المحاورات في موضوعها على ما يجري في كل عام . وكانت خطبة الرئاسة هذا العام دقيقة البحث كأَنها لخاصَّة العلماء لا للجمهور الكبير الذي يحضر هذا الاجتماع عادةً ولذلك لم نترجمها كلها بل اقتصرنا على ترجمة الفصول التالية منها

موضوع الخطبة الفروض التي بُني عليها العلم النظري في القرن التاسع عشر وهل اساسها ثابت لا يتقلقل تحت ثقل البناء الذي شيد عليها او هي زائلة مثل غيرها من الفروض القديمة التي تقوَّضت بارتقاء العلوم الطبيعيَّة . قال الخطيب ”ان اشهر هذه الفروض ثلاثة الاول وجود الجوهر الفرد والثاني كون الحرارة حركة في جواهر الاجسام والثالث وجود الأثير الذي تنتقل بهِ هذه الحركة . وان رأي دلتون الجوهري اذاعهُ اولاً استاذ من اساتذة غلاسغو سنة ١٨٠٧ وكان دلتون قد اطلعهُ عليهِ سنة ١٨٠٤ . ونشرت مباحث رمفورد عن حقيقة الحرارة سنة ١٧٩٨ وآراءُ داڤي عنها سنة ١٧٩٩ وخطب الاستاذ ينغ خطبتهُ التي اثبت فيها ان الحرارة اهتزاز في جواهر الاجسام سنة ١٨٠١ . فاربعة من ابناء وطننا اوقدوا مصباح العلوم الطبيعيَّة في غرة القرن التاسع عشر ولذلك يليق بنا ان نبحث بعد ختام هذا القرن عن حقيقة ما اثبتوهُ“

ثم تكلم على الفروض او النظريات العلمية وقال ” انها وسائط تساعد الذاكرة على تبويب الظواهر الطبيعيَّة وردها الى ما تشترك فيهِ فتنقسم المعارف بها الى ابواب وفصول“ . وبعد ان اسهب في هذا المعنى الفلسفي قال ”اننا ندرك ظواهر الاشياء ولا ندرك حقيقتها وبحثنا الطبيعي يُبعد الغوامض التي نقف عندها ولكنهُ لا يحلها مثال ذلك اننا نبحث عن حقيقة الهواء فنرى اننا لم نعد نحسبهُ عنصرًا بسيطًا كالاولين بل وجدناهُ مؤلفًا من عناصر مختلفة اكسجين ونيتروجين وارغون وحامض كربونيك وبخار مائي . فكان الناس اولاً يحسبون الهواء عنصرًا بسيطًا لا نعلم حقيقتهُ فصاروا الآن يجدونهُ عناصر كثيرة لا نعلم حقيقتها اي انهم ابعدوا الغوامض درجة ولم يكشفوا الستار عنها ولكن ذلك لا يتعب الباحثين ولا يجعلهم يرتدُّون عنهُ بالخيبة والفشل بل هم

يرون في البحث والاستقصاء فائدة كبيرة ولو لم يصلوا الى حقائق الاشياء . ولا هم واقفون عند الحد الذي وصلوا اليهِ فانهم حلَّلوا بخار الماء والحامض الكربونيك الموجودين في الهواء الى العناصر الثلاثة التي يتركَّبان منها وهي الهيدروجين والاكسجين والكربون . فالى اي حد ينتهي التحليل اذا تتبعناهُ علمياً لا وهمياً وهل يوجد فرق بين حل الهواء الى العناصر التي يتألف منها وحل كل عنصر منها على حدتهِ لمعرفة ما فيهِ من الجواهر والاثير . هنا يقول لنا قوم قفوا فان دقائق الاجسام وجواهرها اصغر من ان ترى او تلمس او يشعر بها لغير ذلك من المشاعر فهي من قبيل الفروض لا من قبيل الحقائق "

ثم ردَّ على هذا القول بما ثبت من امر حلقات زُحَل فانها ترى كجسم واحد متصل ولا يمكن ان يرى انفصال بين اجزائها لا بالعين ولا بالتلسكوب ومع ذلك ثبت بالحساب انها مؤَلفة من اجزاء منفصلة وانها لو كانت مؤَلفة من اجزاء متصلة ودارت كما تدور الآن لانفصلت اجزاؤُها بعضها عن بعض سواءٌ كانت جامدة او سائلة وانهُ لا بدَّ من ان يكون جزؤُها الداخلي اسرع من جزئها الخارجي ثم اتضح بالسبكترسكوب ان الامر كذلك وقال ان نسبة الاجسام الى جواهرها كنسبة حلقات زحل الى الاجزاء التي تتألف منها . ولكن يقول قوم ان خواص الجوهر الفرد والاثير تختلف عن خواص الاجسام التي تتركَّب منهما وتدرك بالمشاعر ولذلك يستحيل ان ندرك وجودهما بمشاعرنا كما ندرك وجود اجسام جديدة لم نرَها او هي اصغر من ان نراها فاننا ندرك هذه الاجسام لان خواصها مماثلة لخواص الاجسام المعروفة واما الجوهر الفرد والاثير فليسا كذلك . لكن هذا الاعتراض لا يقوم عند من يعتقد ان المادة شيءٌ لهُ وجود حقيقي فانها ان كانت كذلك فهي مؤَلفة من اجزاء يمتاز بعضها عن بعض ولو لم نرَها بالعين كما تؤَلف حلقات زُحل وكما يؤَلف الغيم والدخان . واسهب في هذا الموضوع واستطرد الى امرين الاول الدليل على ان كل الاجسام مؤَلفة من اجزاء منفصلة مستقلَّة والثاني خواص هذه الاجزاء

وقال في الكلام على الامر الاول " ان المادة تظهر للعين كجسم متصل لا اجزاء لهُ او لا فاصل بين اجزائهِ فالماءُ يظهر متصل الاجزاء والهواء يظهر متصل الاجزاء ايضاً وان خواص كلٍّ منهما موجودة في كل جزء من اجزائهِ ولكن الميل للامتزاج يدلُّ على ان دقائق الاجسام متحركة غير ساكنة ولا حاجة بي الى ذكر الامثلة الكثيرة الدالَّة على ان كثيراً من الغازات والسوائل يمتزج بعضهُ ببعض اذا وُصل بينهما وان الهواء المباشر للماء يمتصُّ البخار من الماء والماء يمتصُّ جانباً من الهواء . وهذا لا يقتصر على السائلات والغازات ولا على الجوامد

اذا كانت شديدة الحمو بل يتناول الجوامد اذا كانت باردة فقد الصق السر روبرتس اوستن الرصاص بالذهب مدة اربع سنوات وكانا على درجة ١٨ بميزان سنتغراد فاتحد المعدنان معًا ودخلت دقائق الذهب بين دقائق الرصاص الى عمق نصف سنتيمتر او اكثر ودخلت دقائق الرصاص بين دقائق الذهب نحو ثلاثة ارباع المليمتر وهذا يُفسَّر تفسيرًا واضحًا بان دقائق الذهب والرصاص متحركة وبينها فسحات وقد انتقلت دقائق كلٍّ منهما ودخلت بين دقائق الآخر

وبهذا تفسَّر امور كثيرة معروفة ولولاهُ ما كان التمدُّد من الحوادث المعقولة . فان الغاز مثلاً يتمدَّد حتى يشغل حيِّزًا كبيرًا جدًّا فلا يُعقَل ان الجسم الذي يشغل حيزًا صغيرًا وتكون اجزاؤُهُ متَّصلة فيهِ يشغل ايضًا حيزًا اكبر من حيزهِ الاوَّل مليون ضعف وتبقى اجزاؤُهُ متَّصلة بعضها ببعض . ولكن اذا كانت المادَّة او الهيولى مؤَلفة من اجزاءٍ منفصلة بعضها عن بعض وبينها فراغ او شيءٌ آخر مختلف عنها اتضح امر التمدُّد والتقلُّص فان الاول يكون ازدياد البعد بين هذه الاجزاء والثاني ازدياد القرب بينها

ثم ان الحرارة لا تُدرَك الاَّ اذا حسبنا انها نوع من الحركة . وان كانت الحرارة حركة فالذي يتحرَّك بها هو الاجزاءُ الاصلية التي تتأَلف منها المادة لان هذه الحركة غير منظورة ولا هي في الجسم كلهِ كجسم متصل . وكلما زادت الحرارة زاد الانتشار الذي هو حركة في دقائق الجسم وذلك دليل على ان الحركات الداخليَّة في دقائق الجسم تزيد سرعة وهي نفس النتيجة التي تنتج لو تحوَّلت هذه الحركات الى حرارة

فاذا التفتنا الى الانتشار والتمدُّد والحرارة رأَينا انهُ ما من فرض تفسَّر بهِ كلها الاَّ الفرض المبني على ان الاجسام مؤَلفة من جواهر منفصل بعضها عن بعض وهي في حالة الحركة المستمرة

وفي جواهر المادة قولان الواحد انها اجزاءٌ يختلف نوعها عن نوع الموصل الذي بينها والثاني انها من نوع الموصل الذي بينها ولكن حالتها تختلف عن حالتهِ والاول ينطبق على ما قالهُ فيها وترستون وكلوسيوس ومكسول والثاني على ما قالهُ لورد كلفن وهو ان الجواهر حلقات زوبعية في الاثير نفسهِ

وسواءٌ كانت دقائق الاجسام اجزاءً مستقلَّة مختلفة عن المادة التي بينها او كانت من نوع هذه المادة ولكنها مختلفة عنها في بعض صفاتها فهي اشياءُ موجودة فعلاً خواصها تختلف عن خواص الجسم الذي هي منهُ . ولو كانت خواص هذه الاجزاء او الدقائق مثل خواص الجسم كلهِ لتعذَّر بقاءُ الحرارة فيهِ ولتبدَّدت باصطدام هذه الاجزاء بعضها ببعض حتى اذا

احمي جسم ووقي من ايصال حرارتهِ الى غيرهِ زالت حرارتهُ من نفسها . وهذا غير الواقع فتدلُّ الدلائل كلها على ان ما بين الاجزاء شيءٌ لا يشبه المادة اي ليس فيهِ مقاومة لحركة الجواهر فلا يبدّد شيئًا من حركة الاجزاء التي يتألف الجسم منها

والاجزاء نفسها لا تبدّد الحرارة حينما يصطدم بعضها ببعض فهي والموصل الذي بينها شيئان يخالفان المادَّة في انهما لا يماثلانها في كل خواصها ولو كانا اساسًا لها فليس وجودهما من قبيل الفروض التي يفرضها العلماء لايضاح المسائل العلمية العويصة التي لا يدركها الاَّ خاصَّة العلماء بل هو من الامور التي لا بدَّ منها في درس الطبيعة حتى كأنهُ من البديهيات . فإمَّا ان تكون خواص الاجسام غير مبنيَّة على خواص بسائطها او تكون خواص البسائط مخالفة لخواص الاجسام التي تتألف منها . ووجود شيءٍ غير المادة لا يلزم نفيهُ بالبداهة فلا مناص لنا من ان نقول بما يقول بهِ جمهور العلماء وهو ان وجود الجواهر والاثير من الامور التي تقوم الادلَّة على اثباتها . ولا عبرة بكثرة المذاهب العلمية والفروض الطبيعية التي ظهر فسادها وعدل الناس عنها لان فساد مذهب لا يستلزم فساد كل مذهب آخر . وخطأ المتقدمين قد يكون داعيًا لصواب المتأخرين . وما احسن ما قالهُ الاستاذ كارل بيرصن وهو " ان سبيل النجاح مرصوف برفات الامم وآثار الشعوب المنحطَّة بادية في كل مكان ولكن تلك الامم التي فنيت والشعوب التي انقرضت كانت سلَّمًا ارتقى عليهِ نوع الانسان الى المدارك السامية والعواطف النبيلة "

واسهب الخطيب في هذا الموضوع ثم استطرد الى الراي الجوهري فذكر انقسام جواهر الاجسام مستدلاً على ذلك بتكوُّن الضباب حول دقائق الهباء او الغبار المتطاير في الهواء فانهُ اذا طار بخار الماء في هواءٍ نقي خالٍ من الغبار لم يصر البخار ضبابًا ولكن اذا ذُرَّ في الهواء قليل من الغبار تحوَّل البخار الى ضباب . ثم ان الدقائق المكهربة تفعل فعل دقائق الغبار فاذا كهرب جسم بكثير من الكهربائية حتى صارت تفلت منهُ ووضعناهُ قرب انبوب يخرج منهُ البخار تكاثف البخار وتكوَّن منهُ ضباب ولو كان الهواء نقيًّا خاليًا من كل غبار . ومن المسلَّم بهِ عند علماء الكهربائية انهُ اذا مرَّ مجرًى من الكهربائية في غاز انقسمت بعض جواهر الغاز الى اقسام تحمل الكهربائية الايجابيَّة والسلبيَّة وتحركت في جهتين متقابلتين والاَّ فالغاز لا ينقل الكهربائية . ولكن الغاز ينقل الكهربائية ايضًا اذا وقعت عليهِ اشعَّة رنتجن او اشعَّة الاورانيوم فيرجَّح من ذلك ان اشعَّة رنتجن واشعَّة الاورانيوم تحل جواهر الغاز وتفرّق اجزاءها مكهربة بالكهربائية الايجابية والسلبيَّة

ولا بدَّ لنا هنا من تعريب كلمة حديثة الوضع وهي كلمة ايون ion ويراد بها الجزء من

الجوهر الفرد الذي يحمل الكهربائية . كأَن الكهربائية تقسم الجوهر الى اقسام بعضها يحمل الكهربائية السلبية و بعضها الايجابية ويسمَّى كلٌّ منهما بالايون اي السائر لانهُ يسير بالكهربائية ويبنون منهُ فعلاً فيقولون ايَّن وغاز مؤيَّن وسنحذو حذوهم ونسمي هذا الجزء ايونًا والجمع ايونات والفعل ايَّن الجسم اي حلَّ جواهرهُ بالكهربائية . وقد اشار الخطيب الى الايونات وما يظن من انها دليل على انقسام جواهر الاجسام وعلى ان العناصر ليست اجسامًا بسيطة كما يقال حتى الآن بل مركبة وكل جوهر من جواهرها مركبٌ من الوف كثيرة من الدقائق الصغيرة وان السر نورمن لُكْيَر رأى بالسبكتروسكوب ما يدلُّ على ان العناصر البسيطة تنحل في الاجرام السموية الى عناصر ابسط منها

وقال في الختام ” ان من ينظر في غرفة مظلمة ويصف ما يراهُ فيها رؤْية غير جليَّة يكون مصيبًا من حيث وصفهُ شكل الاشياء التي يراها بنوع عام ولكنهُ يكون مخطئًا اذا وصفها وصفًا مدققًا وذكر من اوصافها ما لم يتبيَّنهُ فيمزج في وصفهِ لما فيها الحقيقة بالوهم ويصعب ان نعرف اين تنتهي الحقيقة واين يبتدئُ الوهم . ولكن الوهم قد لا يكون خاليًا من الفائدة اذا كان مبنيًّا على شيءٍ من الحقيقة حتى ان من يدخل الغرفة بعدهُ لا يلطم بمرآة فيها ولا يعثر بكرسيٍ . والانسان الضرير الذي فتحت عيناهُ فقال اني ارى الناس يمشون كالاشجار اصاب في انهُ رأى شيئًا متحركًا حولهُ

” ونحن في بداءة القرن العشرين لسنا مضطرين ان نعدل عمّا نعتقدهُ من اننا عرفنا بعض الغوامض الطبيعية ولو كان لا يحق لنا ان نقول انَّا ازحنا الستار عنها كلها وكشفنا غوامض الكون . فان كان فرض الجواهر يوضح كثيرًا من الامور الطبيعية التي لا تتضح بغيرهِ وان كانت التموجات تنتقل في الفضاء كانهُ خالٍ من المادة فقد ثبت امران اساسيان في العلم الطبيعي وهما وجود الجواهر المادية ووجود الاثير غير المادي . وقد لا ندرك حقيقة الجواهر وحقيقة الاثير ولكن لا بدَّ لنا من البقاء على فرضهما الى ان نرى فرضًا آخر يقوم مقامهما ويكون اكفى من فرضهما لايضاح امور الكون المادي “ . انتهى باختصار

هذا وكنا نودُّ ان نترجم الخطبة برمتها لولا ارتباط ما بقي منها بمناظرات ومشاحنات بين العلماء قلما اشرنا اليها في ما مضى وغايتها تصويب رأي القائلين بوجود الجوهر الفرد والاثير مع انهُ قد ثبت الآن ان كل جوهر ينقسم الى الف جوهر وسنعود الى الجوهر الفرد وانقسامهِ ونبسط الكلام عليهِ بالاسهاب

الرئيس مكنلي

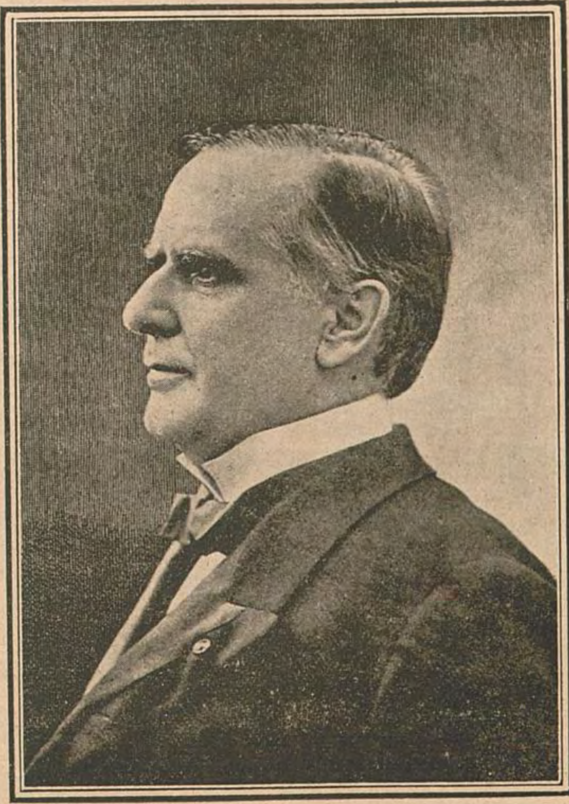

المرءُ باصغيرهِ قلبهِ ولسانهِ حقيقة يعترف بها الناس ثم يتناسونها ثم يعودون اليها تارةً أُخرى كأَنَّ الحقائق لا ترسخ في النفوس ما لم تعززها الاحوال التي ترتبط بها

صاحب الترجمة رجل بقلبهِ ولسانهِ ساد قومهُ ولكن لولا قومهُ ولولا ما لهم من العزَّة والمنعة ولولا الحالة التي قضى بها ما امتاز نعيهُ عن نعي امثالهِ من نوابغ الرجال الذين يعدون بالالوف في بلادهِ حتى لقد يظن المرءُ ان الناس يتزلَّفون الى الامَّة الاميركية بتعظيم قدر رئيسها ومشاطرتها الحزن عليهِ لكثرة ما ابدوا من ذلك

وُلد وليم مكنلي في بلد صغير من ولاية اوهايو في التاسع والعشرين من شهر يناير سنة ١٨٤٣ فاغتالتهُ يد فوضوي في سن الكهولة وعنفوان القوَّة العقليَّة . وهو مثل كثيرين من

الاميركيين العصاميين لا يمتاز اسلافهُ الاَّ بالفضائل وكرم الاخلاق . ومثلهم بذل والداهُ جهدهم في تعليمهِ وتهذيبهِ بما تصل اليهِ طاقتهما حاسبين ان العلم والادب خير من الجاه والنشب حتى اذا اتمَّ دروسهُ في مدرسة اليغني الكليَّة صار مدرّساً يفيد غيرهُ بما استفادهُ . ونشبت الحرب الاهليَّة سنة ١٨٦١ وكان في التاسعة عشرة من عمرهِ فتجنَّد مع المتطوعة "نفراً" وبقي اكثر من سنة قبلما صار ملازماً ثانياً . وفي السنة التالية صار ملازماً اول وفي التي بعدها يوزباشياً ثم بكباشياً بلغ هذه الرتبة في اقل من ست سنوات وبها خرج من الجيش حينما وضعت الحرب اوزارها وقد نالها بشجاعتهِ ومهارتهِ وبقي يلقَّب بلقب ماجور (بكباشي) الى ان صار رئيساً للجمهورية الاميركية . فهو من هذا القبيل مثل الوف من الشبَّان الاميركيين الذين خدموا بلادهم في تلك الحرب بل ان كثيرين منهم امتازوا عليهِ حينئذٍ او سنحت لهم الفرص للامتياز اكثر ممَّا سنحت لهُ . دخل الجندية فتىً وخرج منها فتىً لا مال ولا جاه ولا حرفة للكسب فجعل يدرس علم الحقوق ليصير محامياً واجيز لهُ ولكنهُ لم يشتهر بذلك لأنَّ القدَر خبَّأَ لهُ واسطة أُخرى للشهرة ابتدأَت فرصتها سنة ١٨٧٦ حينما انتُخب عضواً في مجلس النواب فادرك اعظم ما يدركهُ المرء في الجمهورية الاميركية وهو رئاسة البلاد

ويعاد انتخاب النوَّاب كل سنتين فأُعيد انتخابهُ سبع مرات متوالية في اربع عشرة سنة لثقة قومهِ بهِ . وكان من القائلين بحماية الصناعة الاميركية اي بضرب الرسوم الفادحة على المصنوعات الاجنبيَّة لكي لا تزاحم المصنوعات الوطنيَّة . وهو مذهب لبعض الناس يعدونهُ من اكبر عوامل النجاح لكن نفعهُ يعود على الخاصَّة لا على العامَّة فاذا ضربنا رسماً فادحاً على المنسوجات الاجنبيَّة لكي لا تزاحم المنسوجات الوطنيَّة كانت النتيجة ان هذا الرسم يضاف الى ثمن الاجنبي منها والوطني معاً فيربحهُ اصحاب معامل المنسوجات ويخسرهُ جمهور الناس الذين يستعملونها والنتيجة اللازمة عن ذلك ان يزيد الاغنياء غنًى ولا ينال الجمهور الكبير غير التعب والضنك . ويقيننا ان مكنلي كان مخلصاً لامتهِ معتقداً صحة مذهبهِ يقصد بهِ فائدة الصناعة الاميركية لا اصحاب المصانع

الاَّ ان اعتناق مذهب يفيد الاغنياء ويزيد ثروتهم لا بدَّ من ان يحملهم على نصرة صاحبهِ فقوي انصار مكنلي لان القوة للدينار . والظاهر ان الزمان اراهُ فساد هذا المذهب بعدئذٍ فعوَّل على تحويرهِ كما يظهر من الخطبة التي القاها قُبيل وفاتهِ

واريد انتخابهُ عضواً في مجلس الشيوخ الاميركي فلم يفز بذلك فانتخبهُ حزبهُ حاكماً لولاية اوهايو وزادت اصوات منتخبيهِ واحداً وعشرين الفاً ثم اعيد انتخابهُ بعد سنتين وزادت اصوات

منتخبيهِ حينئذٍ واحداً وثمانين الفاً فلم تبقَ شبهة في اجماع ابناء وطنهِ على انهُ من الاكفاء الذين يقدرهم الناس قدرهم

وزاد حزبهُ وزادت شهرتهُ حتى رُشّح لرئاسة الجمهورية سنة ١٨٩٢ فلم يفز بذلك بل فاز الرئيس هريسُن . ثم رُشّح في الانتخاب التالي سنة ١٨٩٦ فانتخب رئيساً بعد نزاع شديد لم ترَ الولايات المتحدة اشد منهُ . وكان خصمهُ مرشَّح حزب الديموقراطيين المستر برين يقصد ان يجعل الفضة معاملةً قانونية في البلاد الاميركية كالذهب فينصرهُ اصحاب مناجم الفضة وهو اي المستر مكنلي يقول ان المعاملة القانونية يجب ان تنحصر في الذهب . فلو انتُخب المستر برين وصارت النقود الفضيَّة معاملة قانونية لحقَّ للحكومة الاميركية ان توفي ربا ديونها نقوداً فضيَّة بقيمتها الاصليَّة ومعلوم ان قيمة الفضة الآن نصف قيمتها الاصلية فيخسر الاغنياء اصحاب الديون الاميركية نصف ديونهم . وبديهي ان المال بعد النفس يدافع عنهُ المرء بكل مرتخص وغالٍ فلا عجب اذا قوي حزب مكنلي والاغنياء نصراؤُه ورأيهُ الاصوب والاقرب الى العدل

ويقال ان مكنلي لم يكن من هذا المذهب اولاً بل كان يرى ان تضرب النقود من الفضة من غير حد حاسباً ان مسألة النقود ثانوية بالنسبة الى مسألة حماية الصناعة وغرضهُ من الامرين فائدة الجمهور لكنهُ عاد فرأى ان فائدة الجمهور لا تقوم بالاعتماد على معاملة ليس لها قيمة ثابتة فعدل عن رأيهِ حباً بالنفع العام . وعرفت الامة ذلك منهُ حتى ان "جمهوراً كبيراً من الديموقراطيين انحاز الى حزبهِ وقت انتخابهِ فصوَّت لهُ سبع مئة الف منهم ." وبلغت اصوات المنتخبين الاخيرة لهُ ٢٧١ وللمستر برين ١٧٦ فجعل رئيساً للولايات المتحدة الاميركية . ثم رأى مجلس الامة ان لا بدَّ لهُ من الاقرار على جعل الذهب مقياس المعاملة وحدهُ دون غيرهِ حتى لا تبقى معاملة البلاد غرضاً تتنازعهُ الاحزاب فاقرَّ على ذلك سنة ١٩٠٠

وكان في الولايات المتحدة حزب كبير يودُّ محاربة اسبانيا لتحرير كوبا منها اما الرئيس مكنلي فكان يحسب انهُ يمكن تحرير كوبا بغير الحرب و بذل جهدهُ في هذا السبيل ولكن نسف البارجة ماين في كوبا غلَّ يديهِ ودفعهُ الى الحرب رغماً عنهُ فادار رحاها ولم تضنَّ عليهِ الامة بمالٍ ولا برجال . ووضعت الحرب اوزارها بعد ان دارت الدائرة على اسبانيا واضيفت فيلبين و بورتو ريغو الى اميركا في معاهدة باريس واضطرت الولايات المتحدة ان تدخل في عداد الدول الاستعمارية اي التي تستعبد الناس بحجَّة اصلاح شؤُونهم ثم تحرمهم الحق الطبيعي الذي لا تصلح الشؤُون بدونهِ وهو المساواة مع سائر الرعايا

ولما انتهت مدة رئاستهِ الاولى وهي اربع سنوات أُعيد انتخابهُ للرئاسة باكثرية كبيرة

اثبتت علو منزلتهِ عند امتهِ

وفي ٦ سبتمبر بينما كان يستقبل الناس في معرض بفلو تقدم اليهِ بحجة السلام عليهِ فوضوي بولوني الاصل يسمَّى زولوجوز واطلق عليهِ رصاصتين من مسدس حملهُ بيسراهُ تحت منديلٍ فاستخرجت الرصاصة الاولى التي اصابت صدرهُ ومزقت اللحم فقط اما الثانية فاخترقت بطنهُ الى الجدار الخلفي ولم يتمكن الجرَّاحون من اخراجها وتعلَّق الامل في بادىء الامر بحياتهِ الى ١٣ سبتمبر حين تغيرت حالتهُ فجأَة وتوفي في ١٤ منهُ الساعة الثانية بعد نصف الليل ونقلت جثتهُ الى وشنطون في ١٧ منهُ ودفنت في ٢٠ منهُ في كنتون (اوهيو) بمشهد من ٧٠ الف نفس. ولم يكد نعيهُ ينتشر في المسكونة حتى بادر ملوك الارض ورؤَساؤُها وعظماؤُها الى مشاركة الامة الاميركية في حزنها على رئيسها كأَنهُ من اعظم ملوك الارض شأْناً واقربهم اليهم مودَّةً

فارسل امبراطور المانيا الى زوجتهِ بالتلغراف التالي

” اني وزوجتي الامبراطورة نعرب لكِ عن حزننا الشديد على فقدكِ زوجك المحبوب الذي اغتالتهُ يد اثيمة وعسى الله الذي منحكِ ان تعيشي معهُ سنين كثيرة بالسعادة والهناء يقدِّركِ الآن على احتمال هذه المصيبة التي افتقدكِ بها “

وبعث ملك الانكليز الى سفير الولايات المتحدة في لندن بالتغراف التالي

” اني اشاركم واشارك الامَّة الاميريكية كلها في الحزن الشديد على فقد رئيسكم الفاضل الذي يبقى الاسف عليهِ مدى الدهر “ . وامر ان يحد عليهِ البلاط الانكليزي اسبوعاً كاملاً

وارسل رئيس الجمهورية الفرنسوية الى زوجة مكنلي التلغراف التالي

” اني اشاركِ من اعماق قلبي في المصاب الذي حل بكِ بفقد اعز شخص لديكِ المصاب الذي حرم الامَّة الاميركية العظيمة من رئيس حائز بالاستحقاق التام اعظم الحب والاكرام “ . ثم زار السفارة الاميركية بنفسهِ لتقديم فروض التعازي

وبعث اليها رئيس جمهورية سويسرا يقول

” في هذا اليوم الذي حلَّ مصابهُ بكِ وبالولايات المتحدة ابعث اليكِ ايتها السيدة بما يشعر بهِ مجلس اتحاد سويسرا من الحزن الشديد على فقد زوجك رئيس الولايات المتحدة المحبوب الذي اغتالتهُ يد الاثم “

وكان الرئيس مكنلي قوي الحجة شديد العارضة حبَّبهُ الى الشعب الاميركي فضيلتهُ العائلية التي يجلها ذلك الشعب فوق كل فضيلة فقد اقترن بامرأَة فاضلة كانت عيشتهُ معها وعيشتها معهُ مثالاً للعيشة الزوجيَّة الطاهرة ثم زاد حبهُ في قلوب امتهِ لما رفض بتاتاً ان يرشح للرئاسة مرة ثالثة

تأثير الوحام

سألَنا سائل منذ خمس سنوات قائلاً "أَحقيقي ان الحامل التي في شهرها الثالث اذا نظرت الى شخص وامعنت نظرها فيهِ جاء ولدها شبيهاً بهِ حسَناً كان او قبيحاً". فاجبناهُ "ان المرويات من هذا القبيل كثيرة جدًّا الاَّ ان العلماء لم يثبتوا صحتها حتى الآن لا بالامتحان ولا بالاستقراء ولا اثبتوا فسادها في ما نعلم . ولكن ما يُعرَف من نواميس الطبيعة يرجح لنا ان هذه المرويات فاسدة او مبالَغ فيها والحقيقي منها يمكن ارجاعهُ الى علل اخرى . ونحن لم نرَ شيئًا حتى الآن مما يقال انهُ متولّد بسبب الوحام الاَّ وجدناهُ بعيدًا عمَّا قيل انهُ يشبههُ بعدًا شاسعًا . مثال ذلك اننا رأينا ابنةً ولدت وفي عنقها خرَّاج كبير واكَّدت لنا امها انها توحمت على كلية وهي حبلى بها وحكَّت عنقها حينئذٍ فولدت طفلتها والكلية في عنقها . ثم شقها الطبيب فاذا هي كيس خلوي مملوءٌ ماءً . ورأَينا رجلاً قال ان في ساقهِ سمكةً تولَّدت فيهِ من وحام امهِ على السمك وكشف ساقهُ فوجدنا فيهِ لطخة سمراء لا تشبهُ السمكة اكثر مما تشبهُ يدهُ وهلمَّ جرًّا"

هذا وقد وقف الاستاذ ايورت منذ ايام قليلة في مجمع ترقية العلوم البريطاني وكان رئيس علم الحيوان فيهِ فخطب خطبة الرئاسة وموضوعها ما يتولَّد في الحيوانات من التغيرات واسبابها وتكلم على الوحام فقال

"ان الاعتقاد بتأثير الوحام في الاجنَّة قديم جدًّا وقد اقام ملَّر الادلة القاطعة على فسادهِ منذ اكثر من خمسين سنة ولكن لا يزال الاعتقاد بهِ شائعًا واني اعرف اثنين من علماء الحيوان يعتقدان صحتهُ . ويعتقد صحتهُ ايضاً كثيرون من مربي المواشي ومن الاطباء . وكتب بعضهم في احدى المجلاَّت المنتشرة بين اهل الزراعة يقول ان ما تراهُ البقر وهي حامل يؤَثر في لون عجولها حتى اضطرَّ احد مربي البقر السوداء ان يقيم سورًا اسود حول بقرهِ لكي لا تلد عجولاً حمراء لان بقر جارهِ حمراء اللون . وان لون العجل يكون بلون ما تراهُ البقرة اشبه منهُ بلونها او لون ابيهِ . وكذلك فراخ الطيور لونها اشبه بلون ما تراهُ اماتها منهُ بلون امَّاتها". ثم ردَّ على ذلك قائلاً "انني ولَّدت في السنوات الست الاخيرة مئات كثيرة من الحيوانات فلم ارَ فيها ما يدلُّ على تأثير الوحام . وقد ولد عندي كثير من المهار وكانت اماتها ترى حمار الزرد المخطط دائماً وهي عشار فلم يظهر في المهار اثر للخطوط ولا لانتصاب العرف . وكذلك الغنم والبقر والمعزى والارانب وخنازير الهند والدجاج والحمام وسائر الحيوانات التي ربيتها وولدتها لهذهِ الغاية لم اجد فيها اقل تأثير للوحام"

عمران دمشق

"متنزهاتها"

لا غرابة في مدينة كالفيحاء خُصت بغوطة غنّاء غبياء ان تحيط بها المتنزهات والرياض احاطة الاكمام بالاثمار ولكن كان هذا ايام استبحارها في العمران وتمتعها بنعيم الامان . ومن الغضاضة الآن ان المتنزهات المستوفاة شروط الصحة والراحة مفقودة على حين انها ما انعدمت في كل الادوار حتى في زمن تخريب التتار وبعدهم

فمدينة كدمشق فيها نهر كبردى يشقها من غربيها الى شرقيها وهي على جانب من اتساع الرقعة وانبساط البقعة لا ترى داخلها ولا خارجها متنزهاً يصلح ان ينتابهُ الفقير والغني وما برحت متنزهاتها عبارة عن محال للقهوة كئيبة مظلمة يتكاثف الدخان فيها وتطبق الروائح الكريهة واحسنها هي التي بُنيت قرب المياه الراكدة . وكان مدحت باشا فكرَّ ان يكشف البيوت والحوانيت المبنية على النهر ويجعل في ضفتيهِ رصيفاً يظلل المارّة بالاشجار ويقيم فيهِ المتنزهات والاماكن العمومية لكن الاقدار عارضتهُ . ومنذ سنتين أُعيد هذا الاقتراح على الاهلين بلسان الصحف فعدّوهُ هزلاً لا جدًّا واستحالوا صيرورتهُ لان التجارب علمتهم ان الشرقي لا يقدر ان يعمل عملاً ولو طفيفاً بدون ان يكون تبعاً للغربي يسخرهُ كيف يشاء . ولو تمَّ هذا المشروع لغدت الفيحاءُ جنة غنّاء وتوفَّر لها كل عام زهاءُ عشرة آلاف ليرة يخسرها الناس في الفيضان

ويؤْخذ من منشور صادر عن نور الدين زنكي سنة ٥٦٩ ان حارة الميدان والشاغور والمزاز وقبر عاتكة والشويكة والقنوات وسوق ساروجا والعقيبة والعمارة وغيرها من الاحياء الخارجة عن السور لم تكن في القرن الخامس او السادس سوى مزارع ومصايف وحدائق ومتنزهات على ما سيجيءُ

واول متنزهٍ وحارة للفيحاء ﴿ الصالحية ﴾ ذكر بعضهم انها كانت في القرن الخامس للهجرة جناناً وحدائق وقال القرماني الصالحية اسم لثمانية مواضع الاول بلدة قرب دمشق بسفح قاسيون ذات منابر وحمامات و بساتين ومتنزهات وهي اسلامية وسبب تسميتها بالصالحية انهُ لما نزل بها ابو عمر الجماعيلي المقدسي وعمَّر بها الدير ومدرستهُ الشهيرة وسكن بها هو واصحابهُ وكانوا قوماً صالحين سميت بهم . ويقول النعيمي ان احمد الخطيب والد ابي عمر المنوهُ بهِ كان من بيت المقدس فلما تملكها الافرنج هاجر الى دمشق فنزل بمسجد ابي صالح خارج "باب شرقي" ثم صعد الجبل وبنى الدَّير ونزل بسفح قاسيون وكانوا يُعرفون بالصالحية لنزولهم بمسجد ابي صالح ثم قيل جبل الصالحية

ومما يُذكر ان ابا عمر باني المدرسة بالسفح المسماة اليوم بمدرسة الحنابلة كان شرع سنة ٥٩٨ في بناء المسجد الجامع بسفح قاسيون فانفق عليهِ رجل يقال لهُ ابن محاسن حتى بلغ البناءُ مقدار قامة فلما نفد ما عندهُ من المال ارسل كوكبري بن زين الدين صاحب اربل مالاً جزيلاً ليتمَّ بهِ فكمل وارسل الف دينار ليُساق بها اليهِ الماءُ من قرية برزة الواقعة الى الشرق من الصالحية فلم يُمكّن من ذلك الملك المعظم عيسى صاحب دمشق واعتذر بان الارض قبور كثيرة للمسلمين فصُنع لهُ بئر وبغل يدور واوقف عليهِ وقفاً لذلك

ولو اذن صاحب دمشق لصاحب اربل ان يجر قناة من برزة الى الصالحية لكان امتدَّ عمرانها اكثر ولكانت الدور المشيدة في الاعالي من شعاب الجبل تسقى بها بدلاً من ان تستقي من نهر يزيد بالقُلل والقِرَب

﴿ دير مُرّان ﴾ كان في سفح جبل قاسيون في حدائق الصُبَّار فلم يبقَ لهُ اليوم عين ولا اثر وهو من المتنزهات البديعة في الجاهلية والاسلام قال الخالدي انهُ بالقرب من دمشق على تلّ مشرف على مزارع الزعفران بناؤُهُ بالجص واكثر فرشهِ بالبلاط الملوَّن وهو دير كبير فيهِ رهبان كثيرة وفي هيكلهِ صورة عجيبة دقيقة المعاني والاشجار محيطة بهِ . واكثر الشعراءُ من التغزل بهِ حتى قال يزيد بن معاوية وقد اصاب المسلمين سباءٌ وقتل بارض الروم

وما أُبالي بما لاقت جموعهمُ   بالغَذْقَدُونةِ من حمًّى ومن مُوْمِ
اذا اتكأتُ على الانماط مرتفقاً   بدير مُرّان عندي ام كلثومِ (١)

﴿ البهنسيَّة ﴾ في كتاب محاسن الشام وهو مما أُلف في القرن التاسع ان هذا المتنزه روض يجمع بين اشجار مثمرة وعيون ماءٍ تظهر منهُ الى جسر ابن شواش

﴿ جسر ابن شواش ﴾ قال ياقوت ان شواش اسم رجل نُسب اليهِ موضع في متنزهات دمشق فيهِ يقول فتيان الشاغوري

يا حبذا جنة باب البريد بها   والحسن قد خُشيتْ منهُ حواشيهِ
فالقصر فالنهر فالقصر المنيف عـلى القصور بالشرف الاعلى فثانيهِ
فالجسر جسر ابن شواش فنَيْربها   تحلو معانيهِ لا تخلو مغانيـهِ
كأن في رأس علّيين ربوتها   يجري بها كوثر سبحان مُجريهِ
تلك المرابع لا رَضْوى وكاظمة   ولا العقيق يواديهِ بواديهِ

---

(١) هي بنت عبد الله بن كريز زوجة يزيد . والغذقدونة ويروى خذقدونة وهو الثغر الذي منهُ المصيصة وطرسوس واذنة وعين زربة قالهُ ياقوت

﴿**باب البريد**﴾ هو الآن اسم الباب الغربي من جامع دمشق كان قديماً من انزهِ المواضع. اكثر الشعراءُ من ذكرهِ ووصفهِ والتشوق اليهِ فمن ذلك قول علي بن رضوان الساعاتي

أَلَمَّتْ سُلَيْمى والنسيم عليلُ   فُخيّل لي ان الشمالَ شَمولُ
كأَن الخزامى صَفَّقتْ منهُ قرقفاً   فللسكر اعناقُ المطيّ تميلُ
تلاقت جفون ما تلاقي قصيرة   وليلُ مشوق بالغرام طويلُ
شديد الى باب البريد حنينهُ   وليس الى باب البريد سبيلُ
ديار فاما ماؤُها فمصفَّق   زلالـــ واما ظلها فظليلُ
نحلتُ وما قولي نحلتُ تعجبـاً   هل الحب الاَّ لوعة ونحولُ

وللقوم اليوم بيتان دائران علي الالسن قيل انهما كانا مكتوبين بجانب قوس النصر في مدخل المعبد القديم الذي بني الجامع الاموي علي انقاضهِ وهما

عرّج ركابَكَ عن دمشق فانها   بلدٌ تذلّ لها الاسود وتخضعُ
ما بين جابيها و باب بريدها   قمر يغيب والف بدر يطلعُ

﴿**النَّيْرب**﴾ وربما قيل لهُ النيربان ولم ادرِ ما السبب وهي قرية عُدَّت قديماً من المتنزهات المفرحة بقي الاسم منها فقط وهي على نصف فرسخ من المدينة وسط الرياض ويذهب بعض المحققين الى ان حيّ المهاجرين في الصالحية اليوم كان داخلاً في النيرب. قال القرماني انها قرية بغوطة دمشق في وسط بساتينها من جهة الغرب وقال ابن بطوطة انها باسفل الربوة والآن قد تكاثرت بساتينها وتكاثفت ظلالها وتدانت اشجارها فلا يظهر من بنائها الاَّ ما سما ارتفاعهُ. وقال ياقوت هي انزهُ موضع رأيتهُ. وذكر البدري ان محلة النيربين تعلو البهنسيَّة وجسر ابن شواش وانها من اعظم المحلات واخضرها وانضرها وبها سويقة وحمام وجامع وهي مسكن الرؤساء والاعيان وبها دار قاضي القضاة يحيي بن جحي ومنها تدخل الى الربوة

﴿**الربوة**﴾ كانت من أعمر احياء المدينة وازهر متنزهاتها اتفقت على ذلك السن المؤرخين والجغرافيين والادباء. ويستخلص من كلام البدري انهُ فيها مغارة لطيفة بسفح الجبـل الغربي وبها جامع ومدارس وعدة مساجد وبها عدة قاعات واطباق وفيها عين ماء يقال لهُ الملثم وبها سويقتان يقطع بينهما نهر بردى وبها صيادو السمك والقلاءون ويذبح فيها كل يوم خمسة عشر رأساً من الغنم ما عدا ما يجيئها من لحم البلد وبها فرنان وثلاثة حوانيت للخبز وحمام لا نظير لهُ بكثرةِ مائهِ ونظافتهِ ومناظرهِ وبها طارمة خشب المسجد الدبلي الذي جددهُ نور الدين الشهيد ولهُ اوقاف علي قرّاء ووعاظ وقراء البخاري وغيرهم وفيهِ يقول تاج الدين الكندي

ان نور الدين لما ان رأى   في البساتين قصور الاغنيا
عمَّر الربوة قصرًا شاهقـاً   نزهة   مطلقة   للفقرا

ولا عجب اذا بنى نور الدين للفقراء قصورًا فقد ذكر القرماني ان داريًّا وهي اعظم قرى دمشق كان وقفها ايضاً لعامة فقراء دمشق يُفرق غلالها عليهم

الشرف شرفان اعلى وادنى كان مصايف للاعيان كالربوة والنير بين قال البدري ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر والقصور وقد تقرب اهلها الى الله ببناء المدارس ورتبوا للفقراء الطعام والمصرف في كل شهر على الدوام فيجلس الطالب في شباكها يطل على المناظر البديعة فينبعث الى طلب العلم ويتحرك في فهمهِ ما سكن . ويقال انهُ بمدرسة الكجانية قبة فيها طاقات على عدد ايام السنة والشمس تدور على تلك الطيقان لا تدخل اليها وهذا من حسن الهندسة واما جامع تنكز (وهو اليوم مدرسة اعدادية عسكرية) فانهُ في الشرف الادنى وهو من الغايات هندسةً وبناءً وفيهِ عشرون شباكاً على خط الاستواء تشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى . ثم قال وكل من الشرفين يطل على الشقراء والميدان والقصر الابلق والمرجة ذات العيون والغدران قال مجير الدين بن تميم يصف الميدان

عجباً لميدانَيْ دمشق وقد غدا   كلٌّ لهُ شرف اليهِ يؤُولُ
والنهر بينهما لغير جنـاية   سيفٌ على طول المدى مسلولُ

ومن جملة وقف تربة الملك الظاهر برقوق طاحون الشقراء بمرجة دمشق ظاهر قصر الملك الظاهر بيبرس بالقرب من زاوية الاعجام و بينهما قصبة سوق كان فيها عدة حوانيت ويتلخصُ من ذلك ان المرجة الخضراء كان يمتدُّ عمرانها لا الى شرفيها فقط بل الى وادي الربوة وما والاها واما القصر الابلق فكان مكان التكية السليمانية اليوم . قال شيخ الربوة انهُ من المباني العجيبة المحدثة بدمشق بناهُ الملك الظاهر بيبرس وسمي بالابلق لكونهِ مبنياً بالحجارة البيض والحجارة السود

وفي الروضتين ان صلاح الدين يوسف بن ايوب كان يزور القاضي الفاضل ليستضيء برأيهِ فيما يريد فعلهُ في جوسق (قصر) ابن الفراش بالشرف الاعلى في بستانهِ حتى ان الصفيَّ ابن القابض لما تولى خزانة دمشق اصلاح الدين بنى لهُ دارًا مطلة علي الشرفين بالقلعة وانفق عليها اموالاً كثيرة وبالغ في تحبيرها وتحسينها وظن انها تقع من السلطان بمكان فما اعارها طرفاً ولا استحسنها وكانت من جملة ذنوبهِ عند السلطان التي اوجبت عزلهُ عن الديوان وقال ما يصنع بالدار من يتوقَّع الموت وما خُلقنا الاَّ للعبادة والسعي للسعادة وما جئنا دمشق لنقيم وما نروم ان لا نريم

الخلخال محلة ومتنزه كانت على الغالب محل التكنة الجديدة او فيما يليها للغرب ولها سويقة وحوانيت وفرن وحمام وفي القرن التاسع كان يسكنها الاتراك وكذلك المنيبع والشرفين وبها تدق طبلخاناتهم (١)

المنيبع كان بها زاوية الادهمية والهنود وهي محفوفة بالناس والاعان لها سويقة وحمام وافران وبها مدرسة الخاتونية كانت من الاعاجيب يشقها في فنائها نهر بانياس ونهر القنوات على بابها ولها عدة خلاوي للطلبة وبجوارها دار الامير منجك والى هذه المدرسة وصل الصليبيون لما نزلوا في ظاهر الفيحاء في القرن السادس . ولا اثر اليوم للبناء في هذه الاماكن بل كلها بساتين وحدائق

الجبهة كان متنزهاً حسناً ذا نواعير وبرك واحواض لها فوارات وحوانيت بهِ مسجد ومدرستان . قال البدري ومربط الدواب ومقاصفية واقفون لخدمة الناس وعندهم اللحف والانطاع والاعبئة لمن ينام او يبيت ويعلوها نهران القنوات وبانياس ينحدر الماء اليها منهُ وفوق النهر حمام النزهِ والى جانبهِ مقصف ذو حوانيت فيها البضائع ويمر بوسطهِ نهر قنوات ويوصل منهُ الى زاوية الحريري المشهورة وليس بابدع من منظرها وينحدر منها الى المتنزه المسمى بقطية وهو مقصف على ضفة بردى فيهِ النواعير والبحرات وقصبة سون تعلوها اربع طباق ومربط للدواب

ويقول كاتب جلبي انهُ كان في المرجة قصور عالية مشهورة في الآفاق لا يتأتى ايفاؤها حقها من الوصف سيما ابنية البرامكة وآثارهم فانها لم تزل باقية الى الآن وفيها منظر مشهور يقال لهُ الجبهة ثم اخذ في وصفهِ بما يقرب مما قالهُ البدري آنفاً . ولا اثر اليوم لكل ما ذُكر من بناء

العنَّابة كانت محلة نزهة تشتمل على دور وقصور لا يعرف لهذا العهد سوى اسم ارضها فقط . ذكر البدري ان السبب في تسميتها ان كاهناً في زمن الروم كان يتعبَّد في صومعة

---

(١) قال صاحب صبح الاعشى شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي بن احمد القلقشندي (قلقشند قرية من عمل قليوب في مصر) المتوفى سنة ٨٢١ ه ان الطبلخانات هي طبول متعددة معها ابواق وزمر يختلف اصواتها على ايقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب وتكون صحبة الطلب في الاسفار والحروب وهي من الآلات العامة لجميع الملوك ويقال ان الاسكندر كان معهُ اربعون حملاً من الطبلخانات وقد كتب ارسطو في كتاب السياسة الذي كتبهُ للاسكندر ان السرّ في ذلك ارهاب العدو في الحرب والذي ذهب اليهِ بعض المحققين ان في اصواتها تهييجاً للنفس عند الحرب وتقوية الجأش كما تفعل الابل بالحداء ونحو ذلك

بتلك الارض فحصل لهُ علة اشرف منها على الهلاك فنزل عليهِ تاجر من تجار الروم ومن جملة متجرهِ خمسة احمال عناب فحلها ونشرها فصار هذا الكاهن يتناول منهُ وقد طاب لهُ فلما اصبح جاء اليهِ الطبيب يجدهُ قد نصل من تلك العلة ووجد الكاهن في نفسهِ نشاطاً فقال لهُ ما الذي استعملت البارحة قال الشيء الفلانيّ ونسي ان يذكر لهُ العناب فقال الطبيب ولعلك استعملت عناباً قال لهُ نعم من اخبرك بذلك قال لعلمي ان علتك لا يبرئها سواهُ وهو معدوم وخشيت ان أُعلق خاطرك بهذا الدواء فزرع الكاهن الارض التي حول صومعتهِ جميعها عناباً وتقرَّب بها الى كل من احتاج منها الى شيء ان يأخذهُ حتى يقال انهُ وجد في الاسلام من ذلك العناب شجرة واحدة وبنى حولها فسميت الحارة بهِ

﴿ سطرًا ومقرا ﴾ من متنزهات دمشق وقرى الغوطة قال البحتريّ يمدح خُمارويهِ

أما كان في يوم الثنية منظرٌ ومستمع يُنبي عن البطشة الكبرى
وعطف ابي الجيش الجواد بكرة مُدَافعة عن دير مُرَّان او مقرى

وقد خرج منهما جماعة من اهل العلم والدراية وهما من ارض الطيبة في الفيحاء كان ينتابهما القوم للتنزهِ ولا يُعرف الآن مكانهما ويؤخذ من بيت توفيق بن محمد النحوي انهُ يخرج اليهما من باب العمارة اي الفراديس وهو قولهُ

سقى الحيا اربعاً تحيا النفوس بها ما بين مقرى الى باب الفراديسِ

وفيهما يقول عبد الرحمن بن خطيب داريا وقد احسن التورية

خليليَّ ان وافيتما الشام بكرة وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقريا عني كتاباً كتبتهُ بدمعي لكم مقرا ولا تنسيا سطرا

وقال ابن عنين واجاد في الوصف

ألا ليت شعري هل ابيتنَّ ليلة وظلك يا مقرى عليَّ ظليلُ
دمشق فلي شوق اليها مُبرّح وانْ لجَّ واش او الحَّ عذولُ
بلاد بها الحصباء درٌّ وتربها عبير وانفاس الشمال شمولُ
تسلسل فيها ماؤُها وهو مطلق وصحَّ نسيم الروض وهو عليلُ

﴿ البلكي ﴾ متنزه بين سطرا ومقرا قال البدري ان الناس يجتمعون فيهِ ايام زهر السفرجل ويُطلقون الماء تحت اشجارها ويُوقدون في ظلمة الشهر قشور البيض و يطلقونها في الماء و يعلقون قشور النارنج موقدة في الاشجار و يضربون الخيام في بستان الحاجب ويقطعون فيهِ اياماً واوقاتاً من اللذة والانشراح يعجز الوصف عنها

الميطور والسيلون هما من متنزهات الفيحاء ويقال ان اول من غرس في ارضهما غرساً بيدهِ سليمان بن عبد الملك

السهم — كان متنزهاً متصلاً بارض الصالحية وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور ومياه تجري كهدير البحور قالهُ البدري

المزارع — كان متنزهاً خضراً نضراً تسرح فيهِ الابصار وتجري من تحتهِ الانهار

الماطرون — موضع قرب دمشق عُدَّ من بدائعها قال يزيد بن معاوية من ابيات

ولها بالماطرون اذا   اكل النملُ الذي جمعا
حُرقةٌ حتى اذا ربعت   ذكرت من جلق بِيَعَا
في قبابٍ حول دسكرة   بينها الزيتون قد ينعا

الحميريون كانت محلة بظاهر دمشق على القنوات لها ذكر في خبر شبيب العُقَيلي ذكرهُ المتنبي في مدحهِ لكافور

هذا ما عثرت عليهِ من المتنزهات والحارات الداثرة في ضاحية دمشق ولعلَّ ثمت من الاسماء ما فاتني الوقوف عليهِ وكلها مما دثر عمرانهُ بتة ونسيت اسماؤُهُ الَّا قليلاً

محمد كرد علي

استئصال المعدة

يوجد الآن في قيد الحياة خمس نساءٍ ورجلان بلا معدة . وقد نُزِعت المعدة برمتها ١٦ مرة منذ ثلاث سنوات الى الآن وكانت العاقبة حسنة في الغالب . وكان من نصيبي ان شاهدت نزعها مرتين اولاهما في سنت لويس بالولايات المتحدة الاميركية وقد ارسلت تفاصيل تلك العملية حينئذٍ الى مجلَّة الطبيب والثانية في هذه المدينة منذ عهد قريب وهي في امرأة ولا تزال حيَّة ترزق . وقد تولَّد فيَّ نوع من الرغبة في درس هذا الموضوع الجديد والبحث والتنقيب عمَّا صار اليهِ وكاتبتُ اكثر الجراحين الذين اجروا هذه العمليَّة فاجابوني عمَّا سألتهم عنهُ وارسل اليَّ بعضهم تقارير مطبوعة . وآخر تقرير وصلني كان من استاذي الدكتور ماير Dr. Meyer احد تلامذة الدكتور كوخ وهو عن رجل استأصل معدتهُ منذ بضعة اسابيع وفي هذا التقرير من الفائدة ما جعلني الخصهُ لقراء العربية الكرام في آخر هذه المقالة

ولا يخفى ان استئصال المعدة امرٌ لا يزال في طفوليتهِ ولذلك اختطَّ فيهِ كل جرَّاح خطَّةً

لنفسهِ مستقلاً عن غيرهِ واخطأ بعضهم فكان خطأهُ سبباً لموت العليل . ولم توضع هذه العملية حتى الآن ضمن حدود معلومة مثل سائر العمليات الجراحية الكبيرة ولذلك فغلط الزمن الحاضر سيكون اكبر معلّمٍ لجراحي الزمن المستقبل حين نرى عدداً كبيراً من المرضى الذين نزعت معدهم يعيشون كأنهم ذوي معد سليمة

والعلل التي تدعو الى استئصال المعدة مرجع اكثرها القرحة الخبيثة وهي نادرة والسرطان وهو كثير. وامامي الآن تقرير عن ست عشرة عملية نزعت فيها المعدة في اربع عشرة كان سبب نزعها السرطان وفي اثنتين سبب نزعها القرحة المعدية. وهاك كلاماً مجملاً عن اكثرها

الاولى عُملت في الولايات المتحدة منذ زمن بعيد قبل ان عُلمت مضادات الفساد فمات العليل بالتقيح

الثانية عملية الدكتور شلتر الشهيرة التي عملها في زورك بسويسرا فجاءت دليلاً على ان الانسان يستطيع ان يعيش بغير معدة . وترى وصفها مفصلاً في المقتطف في الصفحة ٨٧ من المجلد الثاني والعشرين. وقد عاشت المرأة التي نزع معدتها ١٤ شهراً بعد العملية ثم عاد السرطان فظهر ثانية في المساريقي والقولون فاماتها

الثانية عملية الدكتور برغهام من سان فرنسسكو وهي في امرأة ولا تزال المرأة حيَّة تُرزق وكان قد مرَّ عليها ٢٣ شهراً يوم كتب التقرير عنها في ١١ يونيو الماضي وهي تأكل المآكل العادية وتحسن هضمها كمن لهُ معدة سليمة . وقد وصل الدكتور برغهام طرفي المعدة الفؤادي والبوابي واما الدكتور شلتر فوصل الطرف الفؤادي بالصائم

الرابعة عملية الدكتور مكدونلد من سان فرسكو ايضاً والعليل امرأة ولا تزال حية ترزق

والخامسة عملية رتشردصن من بوستن وعاش العليل تسعة اشهر بعد العملية ثم ظهر السرطان ثانية في امعائهِ فاماتهُ

والسادسة عملية شفاس من فرنسا ولا يزال العليل حيًّا

والسابعة عملية كافل ومات العليل اثناء العملية

والثامنة عملية برنايز من سنت لويس باميركا وهي التي اشرت اليها قبلاً وكنت من جملة المساعدين فيها . وكنا قد اجرينا العملية في بعض الكلاب والارانب وقد تركتُ كلباً حيًّا عند الدكتور برنايز وهو من غير معدة . والعملية في رجل كان ضعيفاً جداً فلم يعش بعدها سوى ٣٦ ساعة ومات من قلَّة التغذية

التاسعة عملية دلاتور من فرنسا وقد عاش العليل ٢١ شهراً بعد العملية

العاشرة عملية كوشر من الولايات المتحدة . عاش العليل بعدها وقتاً قصيراً وكان سبب موتهِ خطأ الجراح المذكور فانهُ قطع الاوعية الدموية التي تغذي المساريقي والقولون المستوي في اثناء العملية ولم يعلم خطأهُ الاَّ حين ابتدأت الغنغرينا في المساريقي والقولون وكان ذلك سبباً لموت العليل كما ظهر من فحص جثتهِ

الحادية عشرة عملية مورتن من لندن والعليل لا يزال حيًّا

الثانية عشرة عملية بردك وقد عاش العليل وقتاً قصيراً بعد العملية

الثالثة عشرة عملية كارڤاليو من سان باولو (بالبرازيل) وهي في امرأة لا تزال حية وكان سبب استئصال معدتها السرطان . واتَّبع الدكتور كارڤاليو فيها الخطَّة الحديثة من وصل طرفي المعدة الفؤَادي والبوَّابي . وقد شاهدت هذه العملية ولا تزال المرأة حيَّة

الرابعة عشرة عملية عملت في سنت لويس في ٢١ مايو الماضي عملها استاذي الدكتور ماير وسترى تفصيلها في آخر هذه المقالة

وظيفة المعدة والآراء الحديثة

يذهب الفسيولوجيون اليوم الى ان وظائف المعدة ثلاث وهي خزن الطعام وتحريكهُ وتطهيرهُ ولا هضم فيها ولا امتصاص ولا تمثيل كما كان يزعم. فيخزن الطعام فيها لكبر حجمها ويبقى فيها مدة حتى يلين بامتزاجهِ بالعصارة المعدية وهذه هي الوظيفة الاولى . ثم ان حركة المعدة تدفع الطعام من الفتحة البوابيَّة الى الاثني عشري وهذه وظيفتها الثانية

ومعلوم ان العصارة المعدية السليمة تقتل بعض الميكروبات الوبائيَّة كميكروب الكوليرا وميكروب الجمرة وميكروب القيح وما اشبه فهذهِ وظيفة المعدة الثالثة . وفي العصارة المعدية الاصلية حامض هيدروكلوريك وهو يساعد على افراز الببسين ويساعدهُ على هضم الطعام. وكل ما تقدَّم يدلُّ على فائدة المعدة ولكن هذه الفائدة غير ضرورية للحياة بدليل ان الهضم والامتصاص والتمثيل تتم كلها في الامعاء الدقاق لا في المعدة فاذا اصيبت المعدة بسرطان او قرحة بطلت فائدتها وصار منها ضرر فيجب نزعها . اما السرطان فانهُ يمنع تولُّد الحامض الهيدروكلوريك فيها ويمنع خروج الطعام من فتحتها البوابية فيبقى فيها مدة طويلة ويحلُّ بهِ الاختمار والتعفُّن فتتولَّد منهُ الغازات وتضعف جدران المعدة عن عملها وتتمدَّد ولذلك تقلُّ تغذية العليل فيشعر بالضعف وانحلال القوى الى ان يفاجئهُ الموت فيموت من قلَّة الغذاء لان معدتهُ مصابة بالسرطان فاذا نزعت وصل الطعام الى امعائهِ رأساً فاغتذى جسمهُ ونجا من الموت

التشخيص وكيفية العملية

اما تشخيص السرطان المعدِي فمن اصعب الامور في الطب الداخلي خصوصاً في بادىء الامر . ويظهر من وصف الحادثة التي عالجها الدكتور ماير اخيراً ما يقاسيهِ الطبيب حتى يصل الى الحقيقة قال : ان سن العليل ٣٧ سنة وهو عامل الماني متزوج لهُ خمسة اولاد كلهم اصحاء اقوياء وامرأتهُ كذلك لا يعلم سبب موت والديهِ . يقول انهُ لزم فراشهُ وعمرهُ سبع سنوات بسبب علَّة معدِيَّة وكان يتقيأ دائماً . ثم انتظم في سلك الجندية الالمانية وأُصيب بالروماتزم المفصلي ولا يزال يشكو منهُ للآن . وترك وطنهُ وعمرهُ ٣١ سنة وهاجر الى الولايات المتحدة وبقيت صحتهُ جيدة الى آخر نوفمبر سنة ١٩٠٠ ثم ابتدأ يشعر بألم في معدتهِ وكان الالم يزداد خصوصاً بعد الطعام الى ان جاء في ١٥ دسمبر وكانت علامات الضعف والهزال بادية عليهِ على ان وزنهُ كان ١٨٥ ليبرة (رطلاً) ثم صار الالم يزداد بعد الطعام وكذلك الجشاء والضعف وزالت قابليتهُ للطعام وفي ٢١ فبراير الماضي ظننت انهُ مصاب بالسرطان وجعلت افحص محتويات معدتهِ كيماوياً

وصباح الثاني والعشرين من شهر فبراير (شباط) اطعمتهُ ما يسمَّى بفطور ايوالد اي قطعةً من الخبز وزنها سبعون غراماً تحتوي على خمسة غرامات من مادة نيتروجينيَّة و ٩ غرامات من مادة كربوهيدراتية وثلث غرام من الدهن وثلاثة ارباع الغرام من الاملاح · وسقيتهُ ٣٥٠ غراماً من الماء واوصيتهُ ان يمضغ الخبز جيداً . وبعد ساعة اخرجت محتويات معدتهِ وفحصتها فحصاً كيماوياً ومكرسكوبياً فوجدتها كما يأتي : —

الكميَّة تسعون غراماً . لاسائلة تماماً ولا جامدة تماماً بل بين بين وعند ما تركناها تركد في اناء زجاجي صارت طبقتين فعلهما الكيماوي حامض ليس فيها شيءٌ من الحامض الهيدروكلوريك مطلقاً ولكن فيها كثير من الحامض اللبنيك والحموضة الاجمالية ١٣ . قوة تولد الببسين جيدة والنشاء موجود وكذلك الدكسترين والببتون . وظهر بالفحص الميكرسكوبي حُبَيْبات النشاء وتشعُّبات الخمير بكثرة . وحينما مدَّدنا المعدة بالغاز رأينا طرفها الاسفل فوق السرَّة بعقدة واحدة

واجرينا هذه العملية نفسها في اول مارس (اذار) فوجدنا امرين جديدين الاول ان الكمية كانت ٢٠٠ سنتيمتر مكعب والثاني بقايا سليلوس ليموني وكان العليل قد اكل ليموناً منذ ١٧ ساعة

وفي ٨ مارس وجدنا الكميَّة ٤٠٠ سنتيمتر مكعب وكان الحامض اللبنيك كثيراً فيها وحموضة المعدة الاجمالية ٥٦ لان العليل اكثر من اكل الزبدة قبل الفحص بيوم ولذلك كثر

الحامض الزبديك في معدتهِ وكانت رائحة الحموضة شديدة جدًّا وتجشأ كثيرًا من الغاز وكان لون المادة المستخرجة من معدتهِ الآن اسمر فاتحًا ولا اثر فيها لكريَّات الدم واما مادة الخمير فكانت كثيرة وتشعباتها طويلة

وفي ١٢ مارس كثرت انواع البكتيريا وزاد عددها زيادة فاحشة وعددنا كريات الدم الحمراء يومئذٍ فوجدناها ٤٢٠٠٠٠٠ وكمية الهيموغلوبين فوجدناها ٤٠ في المئة ومدَّدنا المعدة بغاز فوجدنا طرفها الاسفل تحت السرَّة بعقدة ونصف اي انها تمدَّدت في هذا الوقت القصير فرجحتُ وجود السرطان فيها والاسباب التي دعتني الى ترجيح وجودهِ ثلاثة

اولاً عدم وجود الحامض الهيدروكلوريك مطلقًا

ثانيًا وجود الحامض اللبنيك دائمًا وبكثرة

ثالثًا علامات عدم التغذية في العليل وبسرعة تمدد معدتهِ وعدم نجاح كل الادوية التي استعملناها لهُ

ولذلك عولنا على استئصال المعدة برضا العليل

عمل العملية الجراح كارسن بحضور الاستاذ ماير على طريقة برغهام وكان العليل يُطعَم في الخمسة الايام الاولى عن طريق المستقيم طعامًا مؤَلفًا من اللبن الحليب والخمر وزلال البيض مع قليل من الملح وفي اليوم السادس أُبدلت اساوة الجرح الاولى فكان كل شيء على ما يرام ولكن دخل ميكروب الصديد عند تغيير الاساوة فتقيح الجرح ومات العليل في اليوم التاسع بسبب العدوى بميكروب الصديد

الاعتراض على هذه العملية

يقول المعترضون على هذه العملية ان مَن يصاب بالسرطان لا بدَّ من موتهِ بهِ فلنتركهُ وشأنهُ واذا نزعت معدتهُ عاد السرطان فظهر في امعائهِ واماتهُ كما حدث في المرأَة التي استأْصل الدكتور شلتر معدتها . وزد على ذلك ان البعض ماتوا بسبب العملية نفسها . ويردُّ عليهم القائلون بالعملية انهُ اذا لم يكن من الموت بدٌّ لوجود السرطان او القرحة الخبيثة فلا بأس بقطع العضو المصاب اذا استطاع العليل ان يستغني عنهُ فان عاش بعد ذلك فهو المطلوب وان مات فقد كان في عداد المائتين وما العملية سوى مقوٍّ لآمالهِ في الحياة . ويبدي الذين تُعمل فيهم من البهجة والسرور بعدها ما يدعو الى شيوعها والإقبال عليها

سان باولو بالبرازيل الدكتور سعيد ابو جمره

رواية امينة

الفصل الرابع عشر

ألا تستطيعين ان تبقي الباب مفتوحاً فان الحر شديد يزهق النفوس . قلت ذلك لام عطيَّة هانم وهي امرأة كهلة طويلة القامة سمينة الجسم كانت جالسة امام الباب تلهث من شدة الحر وانا جالسة وامامي كومة من الحرير افصّل فيها . فقالت كلاَّ لاني لا اريد ان احداً ينظرنا هنا ويمضي ويخبر عزَّت باشا ويقول لهُ هذا لازم وهذا غير لازم فقد كفانا ما سمعنا من الكلام وما دار بيننا من الخصام

ولم اكن احسب ان في رؤْية النساء لجهاز عطيَّة هانم اقلّ ضرر لاسيما وان سنية هانم هي التي اعدَّتهُ ولكني وجدتُ من العبث الجدال معها فتركتها جالسة والباب مقفل وانا اقول في نفسي ترى هل تصير عطيَّة هانم مثل امها سمينة بليدة سخيفة العقل . اما من حيث سخافة العقل فلم احسب ذلك ممكناً لان عطية كانت ذكيَّة الفؤَاد على ما يظهر واما السمن فدلائلهُ واضحة فيها

ثم مسكت بكرة فارغة بيدي وقلت لها لا بدَّ لنا من خيطان حرير من هذا اللون . فتنهَّدت وقالت من اين الدراهم فقد صرفنا كل ما معنا. واخرجت كيساً من جيبها مملوءًا بالنقود وقالت هل يكفي غرش فقلت كلاَّ ولا بدَّ من خمسة غروش . لاني كنت قد ضجرت من بخلها . فصمتت وهي تنظر الى قطعة النقود في يدها واخيرًا رمتها اليَّ قائلة كفى بعزقة واسرافًا كأنك تحسبين عندي خزنة

فلم اجبها بل خطر ببالي ان ارمي ثياب ابنتها في وجهها واقوم واتركها ولكني رأيت اللياقة تمنعني عن ذلك . ثم قالت لي اتعلمين ان عزَّت باشا اتى الى هنا منذ مدة وقال لي ان نافذ بك قام من اسطانبول منذ اسبوعين وانهُ يكون هنا غدًا او اليوم العصر . ما هو شكلهُ فقد بلغني انكِ تعرفينهُ فهل هو جميل المنظر

فقلت لها نعم جميل جدًّا . وشعرت حينئذٍ بخفقان في قلبي ودوران في رأْسي . وكانت قد سألتني هذا السؤَال مئة مرة واجبتها عنهُ كما اجبتها الآن . فلم تكتفِ بل قالت قلتِ ان شعرهُ اشقر وهذا غريب لان شعر سنية هانم اسود . فقلت لهُ انهُ ليس مثل اختهِ . ولما قلت ذلك دخلت سنية هانم ودنت مني وباستني على جاري عادتها وقالت لي اليوم يصل نافذ وتخلصين من هذا التعب . فقالت لها ام عطية أصحيح ذلك هل ارسل احدًا يخبر بقدومهِ

فقالت سنية هانم نعم وصل رسول منهُ الآن

وقمتُ حينئذٍ بحجة الذهاب لارسل من يشتري الحرير وذهبت الى غرفتي لان سنية هانم لا تبقى طويلاً هناك وهذا هو الوقت الذي يأتي فيهِ حسين بك وكان هذا الشاب قد نغَّص عيشي بوقاحتهِ وكنت اهرب منهُ من غير ان اقابلهُ بالغيظ الذي اشعر بهِ في نفسي . ولما جاء الخادم بالحرير اتت ام عطية هانم ونادتني قائلة تعالي لنرى نافذ بك فان الشبابيك في غرفة حافظ باشا تطلُّ على الدار التي يمرُّ فيها . فتبعتها عن غير فكر الى ان وصلنا الى غرفة حافظ باشا فوجدنا النساء والجواري ملأن كل كواها ورأتني الجواري فوسَّعن لي مكاناً ولكنني لم استحسن الوقوف بينهنَّ وعزمتُ ان ارجع من حيث اتيت ولكن خطر ببالي حينئذٍ ان تحت هذه الغرفة غرفة اخرى صغيرة فيها شباك يطل على الساحة فنزلت اليها وتبعتني عطية هانم فدخلناها معاً وهي تقول لي لا تخبري احداً عني لانني احبُّ ان اراهُ وارى من يشبه . ووقفنا كلتانا امام الشباك وعيناها مملوءَتان بهجة وسروراً وهي لا تحسب لي حساباً لانها تعدني دونها بمراحل فلم تحاول اخفاء سرورها امامي

وسمعنا صوت المركبة وخيلها ثم دخلت الدار ونزل نافذ بك واثنان آخران ووقف وظهرهُ الى الشباك الذي كنا فيهِ فكنت اسمع صوتهُ ولا ارى وجههُ وجعل يحيي الذين اتوا لاستقبالهِ وخرج عزَّت باشا واستقبلهُ بالترحيب والتأهيل على جاري عادتهِ ثم قال لهُ ادخل واسترح الآن وبعد ذلك آخذك الى اختك فقال لهُ بل خذني الآن لاني مشتاق اليها جداً . ودار عزت باشا يكلم واحداً فادار نافذ بك وجههُ حتى صار امامي مواجهة ولو امكنني ان افتح الشباك لمستهُ بيدي فرأيتهُ نحيفاً اصفر الوجه في جبينهِ اسارير كثيرة . والتفت عزت باشا اليهِ حينئذٍ وقال لهُ هلمَّ بنا وسار معهُ ودخلا البيت والتفتُّ الى ما حولي فوجدت ان عطية هانم قد خرجت من الغرفة وتركتني وحدي كأنها خافت ان تُستفقد فتُرى هناك . ولما رأيت اني وحدي ولا داعي لاخفاء ما بي جلست على حافة الشباك واعطيت نفسي مداها في البكاء

وكنت ارى ان وجودي هناك لا يمكن ان يخفى على نافذ بك وانهُ لا يزال يحبني ولكنهُ لا يستطيع ان يعدل عن الاقتران بعطية بعد ان خطبها الى ابيها واخيها فجعلت اصبّر نفسي حتى اذا التقيت بهِ لا يظهر عليَّ شيء

وانتظرتُ سنية هانم في اليوم التالي لارى ما هو رأيها فيهِ . ولما اتت كانت ام عطية غائبة فقالت لي لقد اخطأَ ادهم في ما قالهُ عن نافذ فانهُ لا يزال يحبكِ حباً شديداً ولا اقول ذلك لانهُ اخبرني بهِ او لاني اراهُ كاسف البال كلاَّ فانهُ لم يخبرني بشيءٍ ولا يُظهِر الاَّ البهجة

والسرور ولكنني ارى جلياً انهُ يتظاهر بالسرور تظاهراً . وقد عرف انكِ هنا فتعالي معي ليراكِ

فقلت لها من اخبره' اني هنا

فقالت اخبرتهُ ظبي فانها ارتهُ كلبها الصغير وسلتهُ وقالت لهُ ان امينة صنعتها فلما سمع اسمكِ اضطرب واخذ يسألها من هي امينة هذه فقالت لهُ انها ابنة ابنة مربية امي وانها اتت من اسطانبول . وكان زوجي حاضراً فاكَّد لهُ الخبر واعلمهُ ايضاً تاريخ مجيئك الى هنا فلم يقلْ شيئاً ولكنهُ التفت اليَّ بعد حين وقال لي بصوت منخفض اين اخفيتم تلك المسكينة عسى ان لا تصدقي كل ما قالهُ ادهم عني ولا تظنيني غولاً اتيت لابتلاعها ولا تخافي من اني اعدل عن عطية بعد ان وصلنا الى هذا الحد

فقلتُ لها أَلا تظنين مع ذلك انهُ خير لي ولهُ ان ابقى هنا

فقالت كلاَّ بل الاحسن ان تقابليهِ ولو بقيتِ تنامين هنا لان كل احد يعلم انكِ ربيت في بيت ابي فيستغربون عدم ظهوركِ امامهُ وانا اعلم ان ذلك صعب عليكِ ولكن الا تظنين انكِ تستطيعين ان تقابليهِ

فقلت لها سافعل حسبما تريدين

فقالت اتبعيني اذاً الآن بعد ما اذهب وقولي انكِ آتية لتري نافذ بك . ثم قامت ومضت ووقفتُ حيرى وانا اقول في نفسي جاءَت الساعة التي كنت اخشاها ولكن لا بدَّ لي من مقابلتهِ . ودخلتْ زوجة حافظ باشا حينئذٍ فقلتُ لها اني ذاهبة الى البيت الآخر لارى نافذ بك . فقالت اذهبي وارجعي حالاً واخبريني بكل ما يقولهُ فقد قال حسين انهُ من اظرف الناس وعزَّت باشا مسرور بهِ جدًّا

فخرجت من غير ان اجيبها ووصلت الى باب البستان الآخر ولم اكد استطيع فتحهُ لارتجاف يديَّ ولما فتحتهُ ودخلت البستان رأَيت نافذ بك وحسين بك وسنية هانم جالسين تحت السنديانة فتجلدت وسرت اليهم وانا مطرقة الى الارض حتى اذا دنوت من نافذ بك نهض لاستقبالي وقال بصوت مرتجف اهذه امينة. ولم اقبِّل يدهُ لاني كنت اعلم انهُ يكره ذلك بل سلمتُ عليهِ تمنياً فسلَّم عليَّ كذلك وادنى كرسياً مني وقال تفضلي . فجلست صامتةً . كل ذلك وانا لا اجسر ان ارفع نظري اليهِ ولما جلس رفعت عينيَّ ونظرت في وجههِ ملياً وكان آخذاً في اشعال سيكارتهِ فرأَيتهُ مصفراً قليلاً ويداهُ ترتجفان ثم التفت اليَّ وقال لقد عدتِ الى الاناضول يا امينة فهل ذهبت الى قش اغاج

فقلت كلاَّ لأنها بعيدة جداً . فقال نعم بعيدة واظن انكِ ستمضين اليها يوماً من الايام

وقد مضيت انا اليها حديثاً

فقال حسين بك أَإِلى قش اغاج ما أَخذك الى هناك فانها قرية صغيرة حقيرة

فقال نعم بل لا تستحق ان تسمَّى قرية لان ليس فيها الاَّ عشرة اكواخ في سفح جبل

فقال حسين بك وكيف ذهبت اليها واين نزلت

فقال اني لم اقم هناك الاَّ ليلةً واحدة فلم يكن الوقت كافياً لاتعب منها لا سيما واني ذهبت اليها من مونت كارلو رأساً فكأَني خرجت من الجحيم الى النعيم او من حمام سخن الى حمام بارد

وكان سعيد بك قد اتي وجلس معنا فقال لنافذ بك أَكنتَ في اوربا حديثاً

فقال نعم اخذت اجازة اربعة اشهر فاقمت شهرًا في باريس وقضيت الثلاثة الباقية ضاربًا في المانيا وسويسرا ثم اسرعت الى قش اغاج ولذلك ما عدت استطيع ان آخذ اجازة أُخرى هذه السنة ولما صممت على المجيء الى هنا اضطررت ان ابين سبب مجيئي وهو الزواج ولم احصل الاَّ على اجازة شهر واحد

وكأَنهُ خاف ان اري ما بدا على وجههِ من الاضطراب حين لفظ كلمة الزواج فانحنى لكي لا اراهُ

ثم غيَّر الموضوع وقال لحسين بك اعندكم صيد كثير هنا

فاجابهُ عندنا صيد غير قليل ولكن ليس هذا وقتهُ

فقال نعم اعلم ذلك وحسنًا انهُ ليس وقت الصيد الآن لانهُ يصعب على المرء ان يضرب في الجبال والوهاد النهار كلهُ ثم لا يجد في الليل مكانًا يبيت فيهِ . وصيد عصفورين لا يغني عن تعب النهار وقلق الليل

فقالت لهُ اختهُ ما عرفت انك متنعم بهذا المقدار ولو عرفت ذلك لكنت اخاف ان بيتي لا يرضيك. فقال لها لا تخافي ما دمتِ ابنة امكِ . وعلى ذكر امي اتعلمين انها منحرفة المزاج

فقالت لا وما هو مرضها

فقال لا اعلم ولكن ظهر عليها الكبر كثيرًا في هذه الاثناء ولما رجعت من سفري استغربت منظرها جدًا كأَنها كبرت ثلاثين سنة في غيابي وهي لا تشكو من شيءٍ خصوصي ولكنها لم تعد تظهر قوية على جاري عادتها . وقد كلمتُ ابي في ذلك فاستدعى لها طبيبًا ولكنها ابت ان تراهُ واظنها تستعمل الآن علاجًا من علاجات الدجالين

فنظرت اليهِ وانا اقول في نفسي لعلَّ صحتها انحرفت على اثر ما وقع من الخلاف بينها وبين ابنها وكأَنهُ هو كان يحسب ذلك سبباً لانحراف صحتها . فقلت لهُ ما هو سبب انحراف صحتها

فقال لا اعلم حقيقةً ولكني اخاف من ان قلبها ضعيف ألا تتذكرين انهُ كان يصيبها نوب خفقان احيانًا . يا حبذا لو كان ابي يقنعها لترى نفسها لطبيب وعسى ان اكون مبالغًا في قولي . اين الاولاد الآن

فقالت اختهُ هم يدرسون الآن مع المعلم وسيخرجون قريبًا لانهُ قرب وقت الغداء

فقال أصحيح اذًا لا بدَّ من ذهابي لان واحدًا من رجالكم اظنهُ شيخًا او مديرًا دعاني للغداء عندهُ والناس هنا يحسبون ان من يأتي من العاصمة يأتي والشرف يرشح من ثيابهِ فيتسابقون اليهِ من كل فج ويحسبون اكرامهُ فخرًا لهم . ونهض وهو يتكلم وقال لي لا اظن انني استطيع ان اراكِ اليوم ايضًا يا امينة اذ بلغني انكِ نازلة في البيت الآخر وارى عليك علامات التعب لا تتعبي نفسكِ كثيرًا انا اعلم انكِ كبيرة المروءة فلا تدعيهم يتعبونكِ كثيرًا كما كنتِ تتعبين في بيتنا

ثم امسك بيدي وشدَّ عليها قليلاً وتركنا ومضى

الفصل الخامس عشر

المقابلة المشار اليها في الفصل السابق لم تكن الاخيرة بل قابلت نافذ بك مرارًا بعد ذلك وكان يقابلني دائمًا فيظهر لي المودَّة لا اكثر ولا اقل ولم يشر الى الماضي بكلمة ولا بتلميح كأنهُ رأى ان لا مردَّ لما مضى واني رفضتهُ رفضًا باتًّا لا ارجع عنهُ . وكنت انا اقابلهُ كما يقابلني حتى لا يستدلَّ من يرانا على شيءٍ مَّما كان بيننا

وبلغ الاستعداد للعرس اتمَّهُ ونُصب العرش للعروس وأُرسلت رقاع الدعوة وكُتِب الكتاب وسيكون العرس غدًا . اصابني صداع شديد فدخلت غرفتي بُعَيْدَ الغروب بساعة او ساعتين وعزمت ان انام حينئذٍ لكي استطيع ان انهض باكرًا ولكني لم اجد الى النوم سبيلاً

ومشيت الى الشباك كأنهُ على غير قصد مني وفتحتهُ لاستنشق الهواء فرأيت نفسي مدفوعةً غصبًا عني لاخرج الى الحديقة واراهُ قبلما انام ففتحت الشباك وخرجت منهُ وسرت الى باب الحديقة ففتحتهُ ومشيت الى السنديانة الكبيرة فجلست تحتها وكان في الرواق امامي شخصان لكنهما لم يرَياني لان الليلة كانت حالكة الظلام وكان فوقهما قنديل فكنت اراهما بنورهِ وهما سنية هانم ونافذ بك والظاهر انهما لم يكونا يتكلمان وكان نافذ بك جالسًا على كرسي كبير وقد رفع رجليهِ ووضعهما على كرسي آخر ووضع كفَّيهِ تحت رأسهِ مستندًا عليهما. فنظرت اليهِ مليًّا وقلت غدًا يكون عرسهُ فلا يبقى في قوس الرجاء منزع وبعد اسبوع يذهب بزوجتهِ فلا اعود اراهُ ولا يبقى من هذا الحلم الاَّ ما اسمعهُ عنهُ من مكاتيبهِ لسنية هانم. فابقى

مربية للاولاد بقية عمري اذكر الايام الماضية وما رأيت فيها من صفاء وكدر . ولما خطرت ببالي هذه الخواطر فاضت عيناي بالدموع وتحسَّرت على ايام كنت اضع فيها رأسي على كتفهِ واشعر بذارعهِ حولي وانا اغسل كآبة نفسي بدموع عينيَّ

ثم سمعت صوتاً في الرواق فالتفت واذا هو يمشي ذهاباً واياباً مشية الاضطراب والضجر لا كمن يبيت منتظرًا عرسهُ في الغد . ونهضتْ اختهُ ايضاً فقال لها خير لكِ ان تذهبي الى البيت الآخر والاَّ جاءَني واحد من اولاد عمي وازهق روحي بثقالتهِ . عسى ان لا تكون عطية مثل الصغار من اخوتها فاني لم ارَ مثلهم في حياتي ولا ادري كيف هم اخوة لزوجكِ

فقالت نعم انهم على ما ترى ولكن ليس اللوم عليهم فان اباهم مفلوج لا يستطيع ان يعمل عملاً ولذلك ربوا من غير مؤدب . ولكن كيف اذهب واتركك وحدك الى اين تريد ان تمضي .

فقال اني امضي الى السلاملك واطيّر زعلي بسيكارة ادخنها ثم اذهب وانام . وودعها وودعتهُ وسارت هي الى البيت الآخر وبقي هو مكانهُ بضع دقائق ثم دار ومشي . وبقيت انا في مكاني وقد رجعت بي افكاري الى الايام الماضية فتذكرت مواعيدهُ لي في البستان قرب البركة وقلت غدًا يكون عرسهُ أما كان يستطيع ان ينتظرني قليلاً فانهُ لم تمضِ سنة من حين فارقتهُ وهوذا اراهُ على اهبة التزوُّج باخرى . ما اسرع تقلُّب الرجال وما اقل ودادهم . هل فتَّش عني لماذا لم يظهر الجفاء لابيهِ . لو رأى ابوهُ منهُ اصرارًا للان . ومن يلزمهُ التزوُّج باخرى الآن . لا بدَّ من انهُ يفضل مشيئة والديهِ على كل مشيئة ويشتري رضاهما بكل عزيز والاَّ فلو اصرَّ على الرفض لما قدر احد على جعلهِ يقلع عن عزمهِ ويتزوج بمن لا يريد التزوج بها

وبينما انا افكرَ في ذلك سمعتُ واحدًا يمشي بجانبي وقد دنا مني فالتفتُّ واذا حسين بك امامي وجهاً لوجه . فنظر اليَّ باسماً وقال ما اتي بكِ الى هنا فقد بلغني انكِ مريضة وانكِ ذهبتِ لتنامي

فقلت اني خرجت لاستنشق الهواء قليلاً

فقال احسنتِ وهذا من حسن حظي وساعود اليكِ حالاً بعد ان اقول لسنية هانم ان زوجها في انتظارها

فقلت لهُ ان سنية هانم مضت الى البيت الآخر ولا بدَّ لي من ان اتبعها . وقمت لامشي فوقف في طريقي وقال لا ادعكِ تذهبين . قولي لي لماذا تهربين مني دائماً . فلم اجبهُ فقال

لماذا انتِ مجنونة ألا ترين اني احبكِ فلماذا تهربين مني . قال ذلك ودنا مني ليمسكني بيدي فصرخت ابعد عني ابعد عني . وللحال رأيت نافذ بك مسرعًا اليَّ فقلت لهُ بالله خلصني من هذا الشيطان ولم اكد الفظ هذه الكلمة حتى خطر ببالي ان هذا يوقع العداء بينهما ولكن قضي الامر وامسكني نافذ بك بيدهِ ونظر الى حسين بك عابسًا فقال لهُ حسين بك اني انما امزح معها . فقال لهُ الست تعلم انها ضيفة اختي وان ابي قد تبنَّاها ولا يجوز لك ان تمزح معها فهي ليست جارية في بيت ابيك ولا هي من جواري اخيك فابقِ مزحك للخدم والجواري

فقال حسين بك اني لم انوِ لها شرًّا وكيف اعرف انها فوق غيرها من الجواري

فقال لهُ نافذ بك لقد اخبرتك بذلك والآن لاداعي لبقائك هنا . فلم يجب بشيءٍ بل ادار وجههُ ومضى وبقي نافذ بك ناظرًا اليهِ الى ان غاب عن البصر فتنفَّس الصعداء ونظر الى وجهي طويلاً ثم قال لي متبسمًا تبسُّم التهكُّم ليهنأ ادهم بما فعل حقًّا انهُ فعل فعلاً يفتخر بهِ ابعدكِ عن اخيهِ لكي يطرحكِ بين هؤلاء الكلاب

فلم اجبهُ لان نفَسي كاد ينقطع من الخوف والغيظ والندامة . وبقي هو ماسكًا يديَّ بيديهِ وانحنى حتى كاد وجههُ يصل الى وجهي نخفت منهُ لكنهُ عاد فرفع رأسهُ وتركني وقال لي لماذا اتيتِ الى هنا فقد بلغني انكِ تنامين هناك في البيت الآخر

فقلت نعم وقد اتيت الى هنا لانني احببت ان امشي قليلاً

فقال وهل تلاقين من هذا الغرما لقيتِ منهُ الآن . فقلت ليس تمامًا لانهُ لم يتجاسر قبلاً ان يكلمني كما كلمني الليلة

فقال ولكنهُ كلمكِ وسيكلمكِ باكثر من ذلك وانتِ التي رفضتِ حبًّا طاهرًا شريفًا مثل حبي تغازلين شابًّا دنيئًا مثل هذا اواه من النساء

فقلت لهُ لقد اخطأت وظلمتني فاني لم اغازلهُ ولا كلمتهُ

فنظر اليَّ وبقي هنيهةً لا يتكلم ثم قال عسى ان تسرّي الآن بما فعلتِ بنفسكِ وبي . لو كان لكِ اقل ثقة بي لما كنتُ اضطر الآن ان اقترن بامرأة لا اعرفها ولم ارَ وجهها قط ولا كنتِ انتِ عرضة لمثل هذه الاهانة ولا يعلم الاَّ الله اين تنتهي الامور

فقلت لهُ اذا تجاسر على الكلام معي مرةً اخرى اخبر سنية هانم بذلك . فقال نعم وهي تخبر زوجها فينتهر اخاهُ وبعد يومين يعود اردأ مما كان . أتظنين ان الشاب التركي يخاف من الانتهار

فلم اجبهُ وجلس على مقعد من الخشب كان هناك واشار اليَّ لاجلس بجانبهِ فجلست وكانت

يدهُ مبسوطة على مسند المقعد خلف رأسي حتى يكاد رأسي يستند على ذراعهِ فشعرت براحة نفي بكل ما لقيتهُ من التعب والكدر في ذلك الشهر. ونظرت الى وجههِ فوجدتهُ عابسًا مكفهرًّا فقلت في نفسي اذًا هو لا يشعر بشيءٍ من الراحة التي اشعر بها انا. ثم قال انكِ لم تسأليني عن البيت هل نسيتنا كلنا وهل رأيتِ اصحابًا جددًا انسوكِ العتق

فقلتُ معاذ الله واودُّ ان اعرف اخبارهم كلها هل مضت ولية هانم مع ادهم بك الى بلاد الروملي فقال نعم وقد اظلم البيت في غيبتها. ثم اني جمعتُ بين الساحرة و بوار فعرفت كذبها و بعتها فاشتراها احد الباشوات وتزوَّج بها حالاً

فقلت وهل مضت كنجه مع ادهم بك. فقال كلاَّ بل تزوجتْ اخذها سليم اغا وهو الذي اتى بكِ الى هنا على ما قال لي عزَّت باشا بالامس. واعطاها ابي بيتًا ودبَّر لهُ وظيفة في الجمارك. وذهب علي بك ايضًا لانهُ توظف في تونس. فقلت وهل ذهبتْ وحيدة هانم معهُ فقال كيف لا وهل تظنين انها تتركهُ يذهب وحدهُ يغازل بنات تونس. واظن ان ابي لم يكن ميَّالاً الى ذهابهِ ولكنهُ اصرَّ على الذهاب وقد قال لي ان البيت لا يُسكَن بعد ذهابكِ وذهاب وليَّة منهُ فرأيت الحق في يدهِ ولذلك لم احاول منعهُ عن الذهاب

وصمتَ قليلاً ثم قال باسمًا "وهل تحبين ان تعرفي ماذا فعلتُ بعد فراركِ. ذهبت الى البيت الذي كنتِ فيهِ فلم اجدكِ ولم يرد الطبيب ان يخبرني الى اين ذهبتِ بل قال انكِ ذهبت بامر ادهم بك ولا يعلم الى اين فطار عقلي ورجعت الى البيت وسكبت كاس غيظي على ادهم ثم دخلت الحريم وامسكت بامي وطلبت منها ان تخبرني الى اين ارسلوكِ ولا بدَّ من انني جننت حينئذٍ ولا ادري كيف احتملوني. وبعد ان فتشتُ عنكِ في كل مكان يمكن ان تُرسَلي اليهِ قطعت الرجاء منكِ حاسبًا انكِ لا تستحقين محبتي وعنائي. ثم مضيت الى ڤينًّا وسويسرا وباريس لعلي اسلوكِ واتغلَّب على ما كنت اشعر بهِ من الغيرة ولا ادري الآن كيف دخل في عقلي ان ادهم كان يحبكِ وانهُ ابعدكِ عني لهذه الغاية".

ولما قال ذلك اضطربتُ ونظرتُ اليهِ مستفسرةً فقال "نعم هذا كان اعتقادي حينئذٍ ولو عرفت الحقيقة ما كنتُ تركت التفتيش عنكِ ولا كنت اجلس الآن هنا كزوج لامرأة أُخرى. واخيرًا خطر ببالي انكِ ربما تكونين قد رجعتِ الى بلدك قش آغاج وكنت حينئذٍ في مونت كارلو اسلي نفسي برؤية المقامرين فخطر ببالي الوقت الذي كنت اقامر فيهِ واضطرَّ ابي ان يوفي ديوني والحديث الذي دار بيننا في الرواق على اثر ذلك فخطر ببالي اسم قش اغاج الذي ذكرتهِ لي حينئذٍ فقلت هي هناك حتمًا وقمتُ ورجعتُ الى الفندق واخبرت خدمي اني عازم على

السفر حالاً فاندهشوا وركبنا اول قطار الى مرسيليا وسرت من مرسيليا الى ازمير بحرًا ووصلت الى قش اغاج بعد ذلك باثني عشر يوماً قضيتها سيرًا متواصلاً ولما لم اجد احدًا هناك عدتُ الى البيت واقسمتُ ان لا اتعب نفسي بعد ذلك في التفتيش عنكِ . وانتِ ترين انني بررتُ بقسمي ولا ارى لي سبيلاً الآن للتخلُّص من هذه الحالة الاَّ بواحد من امرين اما ان اضع رصاصةً في دماغي واخلص من هذه الحياة واما ان اخذكِ وامضي بكِ الى حيث لا يعرفنا احد

وكان يتكلم وجوارحهُ كلها تشاركهُ في الكلام فوضعت يدي على ذراعهِ وقلت له كيف تقول ذلك . فقال لو كنتِ تشعرين كما اشعر ما كنتِ تلومينني . الله يعلم مقدار ما نالني من العذاب هذا الشهر . مرارًا كثيرة كنتُ ارى نفسي مدفوعاً لان آخذكِ بيديَّ واضمكِ الى صدري امام الجميع ولم يكن يمنعني عن ذلك الاَّ خوفي على اسم ابي . اتصدقين يا امينة انني كنت اقوم مرارًا واتركك بغتة لكي امنع نفسي عن عمل مثل هذا

فقلتُ لهُ أَوَ تظن اني لا افهم ذلك واني انا كنتُ خالية البال كل هذه المدة أتظن انهُ يسهل عليَّ ان اراك غدًا زوجاً لامرأة أُخرى ولا يعود يحق لي ان افتكر بك فكرًا . ولما قلتُ ذلك غلبتني عواطفي وفاضت دموعي

فلم يقل شيئاً بل ضمني الى صدرهِ ولما لم ازد الاَّ بكاء قال لي لا يمكن ان نفترق قومي نذهب الى حيث يشاء الله وتركي لهذه الفتاة لا يضرها لانها لا تحبني ولا تعرفني فارسل اليها ورقة الطلاق من اول قرية نصل اليها وهذا لا يضر احدًا اما انتِ فلا اقدر على فراقك

فلم اجبهُ لانني كنت اقول في نفسي تُرَى هل استطيع الصبر على فراقهِ ايضاً فراقاً ابديًّا

ثم قال صدقيني ان ذلك قلَّما يسوءُها وهو لا يضرها حتماً لان كل احد يلقي اللوم عليَّ لا عليها . اما انا وانتِ فكيف نصبر على الفراق

لكن عقلي غلب على عواطفي حينئذٍ فقلتُ كلاَّ كلاَّ هذا ضرب من المحال لا استطيع ذلك ولا يمكن ان ادعك تتلف اسمك ومستقبلك لاجلي وكيف استطيع ان انظر الى وجهك بعدئذٍ وانا اعلم اني كنتُ سبب خرابك

واراد ان يتكلم ولكن فُتح باب الحديقة حينئذٍ فقمت واختفيت وراء السنديانة ودخلت سنية هانم وقالت لهُ ألا تزال هنا تعال اخبرني ماذا كنت تفعل . فمشى معها ولما ابعد عني قمت ومضيت الى غرفتي

البقية في الجزء التالي

المدارس الروسية في سورية

بينما كانت اللجان الانجيلية والجمعيات الكاثوليكية مشغولةً بمسابقة بعضها بعضاً في ترسيخ القدم وتوسيع دائرة العمل وتكثير عدد المريدين والمجيبين للدعوة في مدن سورية وقراها وسهولها وجبالها تحفزت جمعية جديدة لمزاحمة كل هاتيك الجمعيات السابقة وقد اوشكت ان تنال قصب السبق عليها في مضمار التقدم والنجاح والوصول الى ضالتها المنشودة وغايتها المقصودة لاسبابٍ نبسطها للقراء الكرام في ما يلي

واريد بهذه الجمعية جمعية فلسطين الروسيّة الامبراطورية التي نشأت اول عهدها في فلسطين جنوب سورية وما ابطأت أن امتدت مدارسها شمالاً واتسعت شرقاً وغرباً حتى بلغت دمشق فحمص فحماة وجازت بشمال لبنان داخلة طرابلس الشام وملحقاتها وامعنت في الجهة الشمالية حتى بلغت اللاذقية وعن قريبٍ تجتازها الى انطاكية وحلب وتعم كل اقطار سورية. وبعد ما كانت مدارس هذه الجمعية تعدّ بالآحاد ومعلموها بالعشرات وتلامذتها صبياناً وبناتٍ ببضع مئاتٍ أصبحت مدارسها الآن تحصى بالمئات ومعلموها كذلك وتلامذتها بعشرات الالوف وقد اوشكت ان تكون ضربةً قاضيةً على الجمعيات السابقة لها لانك تراها منذ الآن على حداثة عهدها تنازع تلك الجمعيات حيث حلّت فتستظهر عليها وتستميل اكثر الاهلين اليها وكثيراً ما كانت مدارسها سبباً لتعطيل غيرها من المدارس الانجيلية او الكاثوليكية. اما الاسباب التي مكنتها من سرعة الانتشار وأعانتها على هذا الاستظهار فكثيرة نلخّصها في ما يأتي

اولاً قدرتها او نفوذها — فليس من جمعيةٍ اجنبيَّةٍ في سورية تستطيع ان تُباري في نفوذها جمعيةً مبعوثةً من مجمعٍ عظيمٍ في بطرسبرج رئيسهُ العامل صاحب السمو الامبراطوري الغراندوق سرجيوس عم جلالة القيصر. وحامي ذمارهِ جلالة القيصر نفسهِ الذي هو رئيس شرفٍ لهُ ايضاً. ويروى انهُ لما جلس القيصر على عرشهِ كتب الى سموّ عمهِ يشكر لهُ اهتمامهُ بنجاح مصالح هذه الجمعية ويعلن قبولهُ لأن يكون لها رئيس شرفٍ مكان ابيهِ اسكندر الثالث واستعدادهُ لسحق كل قوةٍ تقف في طريق تقدمها وانتشارها. ويظهر ان جلالتهُ مخرجٌ لقولهِ هذا من حيز القوة الى الفعل فانك اذا تتبعت اعمال هذه الجمعية في سورية لا ترى في طريقها اقل شيء من العثرات او المصاعب التي تقام على الدوام في طُرُق الجمعيات الأُخر واذا اتفق حدوث شيء من ذلك فانهُ في الحال يزول وقد لا يصدر الاَّ عن اناس يجهلون شدة حول هذه الجمعية وصولتها حتى اذا رأوا ما وراءها من القوة التي تميد لها الرواسي لاذوا باكناف

الاستكانة وانزاحوا من طريقها آسفين نادمين

ثانياً مجَّانيَّة التعليم . كانت الجمعيات الانجيليَّة والكاثوليكية في السنين الغابرة تتسابق الى جمع اولاد سورية من الازقة والشوارع واخذهم الى مدارسها وتعليمهم عفواً بدون ان تسوم اهلهم اقلَّ نفقةٍ . ولكن في هذه الايام الاخيرة غيَّرت خطتها القديمة واخذت تتنافس في ضرب الاجور الفاحشة والنفقات الباهظة على الذين يطلبون تحصيل العلوم في مدارسها

اما الجمعية الروسية فقد عمَّمت التعليم المجاني في كل مدارسها بلا استثناءٍ ونهت الرؤساء والمدراء نهياً مطلقاً عن تكليف احد الاولاد غنيًّا كان او فقيراً ان يدفع غرشاً واحداً مدة وجودهِ فيها بل يتلقى العلوم ويتناول الكتب والدفاتر والاقلام والحبر والورق وكلما يحتاج اليهِ مجَّاناً بلا ثمنٍ على الاطلاق . وهذا كما لا يخفى اكبر مغرٍ للآباء والامهات بارسال اولادهم اليها تخلُّصاً من نفقات التعليم واثمان الكتب التي اصبحت في هذه الايام حملاً ثقيلاً ولا سيما على الفقراء الذين هم العدد الاكثر من سكان كل مكان

ثالثاً علاقتها الدينية . ان طائفة الروم الارثوذكس اكبر الطوائف المسيحية في سورية وكان اكثر اولادها قبل انتشار الجمعية الروسية غرضاً ترمي اليهِ الجمعيات الاجنبية وصيداً تحتال علي اقتناصهِ . فلما دخلت الجمعية الروسية وليس من يجهل تفاني الروم الارثوذكس في حب الروس غصت مدارسها على الفور باكثر اولاد هذه الطائفة . ولولا ان المدارس الروسية ينقصها بعض امور سنشير اليها في ذيل هذه المقالة لما ابقت على مدرسةٍ لغيرها في جميع الاماكن التي امتدت اليها . قلنا ان الروم الارثوذكس يحبون الروس حبًّا يقرب ان يكون عبادة وهذا غير مجهولٍ عند الجمعية الروسية وقد اعانها على توثيق هذه العلاقة وزيادة تمكينها انها اكثرت في مدارسها من التعليم الديني وممارسة الصلوات وحفظ كثيرٍ من فروض العبادة غيباً واوجبت على جميع اولاد مدارسها الذهاب معاً الى الكنيسة في كل مساءٍ وصباح من الآحاد والاعياد الممتازة . فهذا كلهُ مع كونهِ من اسمي غايات هذه الجمعية اي نشر التعليم الديني الارثوذكسي جاء موافقاً لاميال السواد الاعظم من ابناء الطائفة الارثوذكسية. والآن حيثما توجد مدرسة روسية فهناك الكنيسة الارثوذكسية غاصَّة في الآحاد والاعياد بفرق الصبيان وصفوف البنات ووراءهم جماهير الشعب رجالاً ونساءً يزحمون بعضهم بعضاً منقادين الى ذلك اما اقتداءً باولادهم او حبًّا بالتفرج عليهم

رابعاً طرق التعليم . مما امتازت بهِ هذه الجمعية على غيرها من الجمعيات الاجنبيات في سورية انها سنَّت لمدارسها قوانين هي غاية في الدقة والضبط وقد روعيت صحة الاولاد

الجسدية ونشاطهم العقلي وسيرتهم الادبية مراعاةً لم تترك حاجةً لمستزيد . وهذه القوانين مطردة الاجراء مرعيَّة في كل مدارسها ولا مطمع لاحدٍ من اساتذتها ومدرسيها في مخالفة واحدٍ منها بدون ان يعرّض نفسهُ للتوبيخ ثم لنقص الراتب واخيرًا للطرد

فمن قوانينها ان يعطي الاولاد من ابن عشر سنين فصاعدًا فسحة (فرصة) عشر دقائق كل ساعةٍ لاراحة الذهن من التعب العقلي . اما الاولاد الذين هم من ابن تسع سنين الى الست فيُعطون كل نصف ساعةٍ فسحة عشرين الى ثلثين دقيقة مراعاة لحداثة سنهم . وفي كل فسحة ينبغي ان تخرج جميع الفرق (الصفوف) ازواجًا ازواجًا كانها فرق عساكر مدربة على المسير بغاية الانتظام والترتيب ولا يسمح لولدٍ ان يمشي محدودبًا بل عليهِ ان يسير منتصب القامة مرفوع الرأس مكشوفهُ ويداهُ على جانبيهِ موفقًا خطواتهِ على خطوات رفيقهِ وفي أثناء اللعب لا يُؤذن للمدرسين ان يتنحوا عن التلاميذ بل يفرض عليهم ان يكونوا واقفين معهم وبينهم وعيونهم مفتوحة لمراقبة العابهم وتلافي خطر اللعب العنيف بالايدي قبل وقوعهِ وتدريب الاولاد على الالعاب المروّضة للاجساد والعديمة الضرر . وعند نهاية الفسحة يقرع الجرس قرعةً واحدةً ينقطع عندها الاولاد عن الحركة والتكلُّم ويقف كلٌّ منهم حيث كان كانهُ آلة جامدة ثم يقرع لهم الجرس ثانية وباسرع من لمح البصر يسرع كلٌّ منهم الى مكانهِ في الصفّ ويقف احد الاساتذة امامهم كانهُ قائد عسكر ويأخذ في استعراضهم وطلب اتجاههم الى اليمين واليسار والوراء والامام بما لا مزيد عليهِ من الخفة والرشاقة ثم يشير اليهم بالمسير فيمشون مرنمين الحانًا يوقعون عليها اقدامهم حتى تدخل كل فرقة منهم الغرفة المختصة بها وعلى كل استاذٍ ان يفحص كُلًّا من تلاميذهِ قبل مباشرة التدريس ليرى هل اتمّ شروط النظافة المطلوبة منهُ فينظر رأسهُ ووجههُ وعنقهُ ويديهِ ثم يشير في دفترهِ الى الغائب منهم وسبب غيابهِ ويشرع بعد ذلك في عملهِ . ومن قوانين هذه المدارس ان لا يُسمح للمعلم بالجلوس في اثناء التدريس او التسميع بل عليهِ أن يكون واقفًا منتصبًا امام الفرقة وعيناهُ ترقبان كل ولدٍ واذناهُ مصغيتانِ الى كل كلمةٍ . وفي هذا القانون من الحكمة ما لا حاجة الى بيانهِ

ولا يسمح الاستاذ لاحد التلامذة ان يجيب على سؤالٍ القاهُ عليهم فبلما يتحقق انهم كلهم يعرفون ذلك السؤال . وكيفية ذلك انهُ يلقي السؤال على تلميذ منهم وبينما هم جميعهم مهتمون باستخراج الجواب يطلب من تلميذ آخر ان يعيد ذلك السؤال نفسهُ وبهذه الطريقة ترى آذان التلامذة مفتوحة لكل سؤالٍ حتى انهم قلَّما يحتاجون ان يُعاد عليهم وبعد ما يتحقق

المعلم انهم جميعهم عارفون بالسؤَال يكلّف واحداً منهم ان يجيب عليهِ ثم انهُ لا يكتفي بالجواب ولو كان صحيحاً بل يمتحن انتباه الآخرين بطلب اعادتهِ ممن اراد حتى يكون ضامناً لانتباههم كلهم من كل وجهٍ

وعلى كل استاذٍ عند ما يلاحظ كلالاً او تعباً عقلياً طرأَ على اساتذتهِ ان يوقف العمل هنيهةً ويُريح اذهانهم بان يقصَّ عليهم قصةً صغيرة مضحكةً توجب مسرتهم او أَن يأمرهم بالنهوض والجلوس معاً مراتٍ متوالية ثم يرجع الى عملهِ حتى تنتهي الساعة المعينة لذلك الدرس

والتدريس في هذه المدارس لا يُعوَّل فيهِ على حفظ الدروس غيباً في الكتب بل في الاكثر على شرح الاساتذة وبسطهم للمواضيع المهمَّة في ذلك الدرس حتى انهم يدرسون فنوناً كثيرةً القاءً بلا كتب

وعند ما يبتدئون يعلّمون الاحداث لغةً ما سواءٌ كانت العربية او احدى اللغات الاجنبية لا يُؤْذَن لهم ان يُرهقوا عقول الصغار بتعليمهم اسماء الحروف الهجائية بل يقتصرون على تعليمهم اصوات الحروف لا غير لان هذا هو الشيء المهم للولد في بادىء الامر ان يعرف صوت الحرف ليحفظهُ في ذاكرتهِ ويُطلقهُ عليهِ كلما رآهُ

ولهم في تعليم الحساب اساليب عجيبة غريبة تروّض عقول الاحداث وتعوّدها على صحة الاستدلال وسرعة الحكم بالصواب في المسائل العقلية لانهم لا يحلون لتلميذ مسألة حسابية على الاطلاق بل يساعدونهُ على حلها ويدربونهُ ان يقيس عليها كلما كان من نوعها

ويعوزني الوقت ان اردت شرح ما عندهم من الطرق الصحيحة والاساليب المفيدة الكافلة تقدم التلامذة ونجاحهم والمحافظة الشديدة على صحة اجسادهم وآداب نفوسهم

وما تقوم يكفي للدلالة على شدة مسئولية الاساتذة في هذه المدارس فالاستاذ الضعيف العزم المسترخي اليد البطيء الحركة الخائر القوى لا يرى لهُ عملاً في مدارس هذه الجمعية. والضرب في هذه المدارس ممنوع منعاً تاماً ولهم قصاصات ادبية ينفذونها على اساليب مفيدة جداً للاولاد

خلاصة الامر ان الاستاذ في هذه المدارس ينبغي ان يكون لهُ صبر الجندي وخفة الضابط وحذق القائد والاَّ قذفوهُ من حالق ولو كان صدرهُ مدفن حكمة الاولين وعلوم المتأخرين ولذلك ترى النجاح حليفاً لها وقد شاعت بها اللغة الروسيَّة في انحاء سورية على قرب عهدها

اسعد داغر

داء الصلع ودواؤهُ

الصلع داء لا يُؤلِم ولا يُتعِب ولكن قلَّ من لا يودُّ التخلُّص منهُ ولا سيما اذا جاءهُ في مقتبل العمر. وقد يجد عنهُ بعض السلوى بما يرى من شيوعهِ بين رجال العلم وارباب السياسة فيحسبهُ ناتجًا من اتساع العقل ونباهة القدر ولكنهُ لا يلبث ان يراهُ غير نادر بين الذين لا علم لهم ولا شأن ويرى كثيرين من رجال العلم والفهم والشعرُ غزير في رؤُوسهم ولو اشتعلت شيبًا ويرى النساء كلهنَّ سليمات من الصلَع على اختلاف عقولهنَّ فيضطرُّ ان يقدّر للصلع سببًا آخر غير اشتغال الفكر وسعة العقل

وقد ادَّعى بعضهم حديثًا ان الصلَع ناتج عن نوع من الميكروبات يمرض الشعر ويميتهُ فيقع من الراس او يمنع تغذيتهُ فيضعف رويدًا رويدًا حتى يقع . وان هذا الميكروب ينتقل من واحد الى آخر بالعدوى من مشط الحلاَّق (المزين) فصنع الحلاقون امشاطهم من المعدن وجعلوا يغسلونها بالماء الغالي قبل استعمالها وبعدهُ تطهيرًا لها ومنعًا لنقل عدوى الصلع بها . ولا نعلم نتيجة ذلك حتى الآن لان استعمالهُ حديث وليس للصلع احصاء يعرف بهِ مقدار انتشارهِ

غير ان هذه المسألة اتخذت الآن صورة اخرى فقد قام احد الاطباء الاميركيين واسمهُ الدكتور باركر وادعى انهُ اكتشف السبب الحقيقي للصلع وضعف الشعر عمومًا واكتشف ايضًا علاجهُ واثبت ذلك كلهُ بالامتحان ونشرهُ في جريدة السجل الطبي

قال ان الناس قلَّما يتنفسون كما يجب ان يتنفَّسوا فيبقى في اعالي رئاتهم كثير من النفس القديم الفاسد فيمتصهُ دمهم ويدور بهِ في اجسامهم وهو يفعل فعلاً خاصًّا بالشعر فيميتهُ وهذا سبب الصلع وداء الثعلب . ولا يصاب النساء بالصلع لانهنَّ لا يتنفسنَ مثل الرجال فان تنفُّس الرجال عادةً بطنيٌّ اي تتمدَّد بهِ رئاتهم من اسفلها مما يلي البطن وتنفس النساء صدريٌّ اي تتمدَّد بهِ رئاتهنَّ من اعلاها من عند الصدر فيخرج الهواء الفاسد من اعالي رئاتهنَّ ولكن الرجال يستطيعون ان يتنفسوا تنفسًا صدريًّا ايضًا كالنساء اذا عمقوا تنفسهم غير انهم لا يفعلون ذلك الاَّ نادرًا ولا سيما اذا كانت اعمالهم لا تقتضي حركة كثيرة

وكذلك المصابون بالسل قلما يصابون بالصلع بل الغالب ان يكون شعرهم غزيرًا طويلاً وذلك لان السل يصيب اولاً اعالي الرئة حيث يستقر الهواء الفاسد المشار اليهِ آنفًا فلا يعود هذا الهواء يستقرُّ هناك . ثم ان عطَبَ جانب من رئة المسلول يضطرهُ الى استعمال باقيها وقت التنفس فلا يعود الهواء الفاسد يخزن فيها. ولعلَّ السعال الذي يصيب المسلولين يساعدهم

علي اخراج الهواء الفاسد من رئاتهم وتنظيفها منهُ

قلنا ان الدكتور باركر اثبت رأيهُ بالامتحان وقد رأينا صور الحيوانات التي جرَّب فيها ذلك فان كانت منقولة عن صور فوتوغرافية حقيقيَّة فلا شبهة في انهُ اصاب كبد الحقيقة فقد اتى بانسان اصلع وجمع نفَسهُ في كيس من الكاوتشوك ونقل النفس الى قنينة فيها قليل من الماء المقطر والهواء النقي ووضعها في مكان حرارتهُ مثل حرارة دم الانسان وتركها فيهِ عشرة ايام ثم هزَّها جيداً حتى علق بالماء كل ما في الهواء من المواد الآلية ووضع هذا الماء في حقنة صغيرة مما تحقن بهِ الحيوانات تحت جلدها وحقن بهِ كلباً واعاد حقنهُ يوماً بعد يوم على اربعة عشر يوماً فظهرت في جلدهِ بقعة عارية من الشعر كالاصبع ثم حقنهُ ١٨ حقنة اخرى فكثرت البقع العارية من الشعر في بدنهِ في بطنهِ وصدرهِ وخاصرتيهِ ولما صارت الحقن ٤٢ حقنة زال كل الشعر من بطنهِ . وبقيت صحتهُ جيدة جدًّا وكان يأكل ويشرب على جاري عادتهِ . وحقن دجاجة بهذه المادة لما حقن الكلب بها فزال الريش من رأْسها وعنقها واكثر بدنها وبقيت صحتها جيدة وبقيت تبيض بيضتين كل ثلاثة ايام على جاري عادتها . ثم ابطل حقنهما فعاد الشعر الى الكلب والريش الدجاجة رويداً رويداً الى ان رجعا كما كانا اولاً وجرَّب ذلك في حيوانات اخرى فكانت النتيجة واحدة وهي ان نفَس الانسان المجموع في مكان حار تتولَّد فيهِ مادة اذا دخلت البدن اضرَّت بحياة الشعر حتى اذا تكرَّر دخولها البدن مات الشعر وسقط فاستنتج من ذلك ان الصلع ناتج عن هذه المادة او عن ضعف التنفس وانهُ اذا اراد المرء ان ينجو من هذه الآفة فعليهِ ان يعوِّد نفْسهُ علي التنفس الشديد حتى يمتلئ صدرهُ بالهواء النقي ويخرج منهُ الهواء الفاسد كلهُ وتنظف رئتاهُ منهُ فاذا فعل ذلك لم يصبهُ الصلع واذا كان قد اصابهُ فلا يبعد ان يعود شعرهُ اليهِ . وهذا هو السبب لقلَّة الصلع بين النساء وبين السعاة والمصارعين وكل الذين يعملون اعمالاً شاقة تدعوهم الى التنفس الشديد ولكثرتهِ بين العلماء والكتَّاب والتجار وغيرهم من الذين تقلُّ حركتهم ويضعف تنفسهم

فان صحَّ هذا التعليل وهذا العلاج فقد نجا الانسان من آفة يكرهها ويودُّ الفرار منها فلا يجد الى ذلك سبيلاً واتضح ان سبب ما يظهر من الفائدة لبعض الادوية التي يُفرك بها الراس الحركة العنيفة التي يفرك الانسان رأْسهُ بها لانها تسرع تنفسهُ فتتطهر رئتاهُ من الهواء الفاسد . ولا بدَّ من ان يمتحن كثيرون معالجة هذا الداء بالتنفس الشديد الذي يطهر رئاتهم من الهواء الفاسد فان شفاهم من الصلع فهو الغاية المطلوبة وان لم يشفهم منهُ فلا ضرر فيهِ بل منهُ نفع في اجادة الصحة من غير نفقة

الوباء الجارف

لو وُجد آدم وحواء منذ الفين وستين سنة فقط وتوالدوا من ذلك الحين وكانت زيادة اولادهم السنوية اي زيادة المواليد على الوفيات واحداً في المئة فقط لبلغ عدد نسلهم الآن ١٦٠٠٠ مليون (ستة عشر الف مليون) نفس كما هو عدد سكان المسكونة في هذا الوقت

ولو وجد في المسكونة عشرة نفوس فقط وقت ميلاد المسيح اي منذ الف وتسع مئة سنة لبلغ عددهم الآن ١٦٠٠٠ مليون نفس كما هو عدد سكان المسكونة الآن اذا كانت زيادة المواليد على الوفيات واحداً في المئة فقط

ولو وُجد فيها ٣٢٠٠ نفس في السنة الاولى من الهجرة النبوية اي منذ ١٣١٨ سنة لبلغ عددهم الآن ١٦٠٠٠ مليون نفس

ولو وُجد في الارض مليون نفس وقت ميلاد المسيح وكانت زيادتهم السنوية واحداً في المئة فقط لبلغ عددهم الآن مئة وستين مليون مليون نفس فاجتمع منهم في كل ميل مربع من الارض الصالحة للسكن اكثر من ثلاثة ملايين نفس حتى لو ارادوا النوم ما وجدوا في الارض مكاناً يسعهم

والمرجح ان سكان المسكونة لم يكونوا وقت الميلاد اقل من مئتي مليون من النفوس فلو زاد عددهم على ما تقدَّم لوجب ان يكون الآن في الميل المربع من الارض الصالحة للسكن ستمئة مليون نفس اي نحو مضاعف سكان اوربا كلها فيصيب المتر المربع ٢٤٠ نفساً لو وقفوا عليهِ اربعةً اربعةً لغطوا الارض وارتفعوا عليها ١٢٠ قامة

ومعلوم ان متوسط نمو الناس بالتوالد لم يزد الآن عمَّا كان عليهِ في السنين الغابرة بل نقص كثيراً كما يظهر من مقابلة مواليد بعض الممالك الاوربية الآن بمواليدها منذ مئة عام

وينتج من ذلك ان الذي منع نوع الانسان من ان يكثر ويملأَ الارض هو كثرة الوفيات في الازمنة الغابرة لا بالموت العادي بل بالموت الذريع فلو كان معدَّل الوفيات في السنين الغابرة كما هو الآن لامتلأَت الارض بسكانها منذ قرون كثيرة فالاوبئة الفتَّاكة والامراض القتالة والحروب والمجاعات هي التي ابقت نوع الانسان الى الآن وابقت لنا فسحةً من الارض نعيش فيها ولولاها ما استطاع هذا النوع ان يبقى في الارض اكثر من الفين وخمس مئة سنة من وجودهِ ذكراً وانثى الى حين امتلاء الارض بهِ وتعذُّر معيشتهِ فيها

واليد الطولى في حصد النفوس حتى لا تكثر وتملأَ الارض للطاعون الجارف الذي انتاب نوع الانسان مرةً بعد اخرى في العصور الغابرة . ذكر ابن اياس في "تاريخ الدهور" ان

من حوادث سنة ٧٤٩ للهجرة " الفناء الذي وقع بالديار المصرية وعمَّ سائر البلاد فكان يخرج من القاهرة في كل يوم ما ينيف على عشرين الف جنازة ومات في شهر شعبان ورمضان تسعمائة الف نفس ولم يُسمع بمثل هذا الطاعون في ما تقدَّم من الطواعين المشهورة في صدر الاسلام . قال الشيخ شمس الدين محمد الذهبي ان الطواعين المشهورة في مبتدإ الاسلام خمسة وهي طاعون شيرويهِ وطاعون عمواس وكان في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ وقع بالشام واعمالها سنة ١٨ من الهجرة وطاعون الجارف وقع في زمن عبدالله بن الزبير سنة ٦٧ من الهجرة قيل مات فيهِ في ثلاثة ايام في كل يوم سبعون الفًا . وطاعون الفتيات كان بالبصرة وواسط قيل انهُ ابتدأ بالعذارى الصغار فسمي طاعون الفتيات . وطاعون جاء في سنة احدى وثلاثين ومئة ويسمى طاعون قتيبة مات بهِ الف الف وستمائة وخمسون الفًا (١٦٥٠٠٠٠) . ولكن لم يُسمع بمثل هذا الطاعون الذي جاء في هذه السنة (سنة ٧٤٩ هجرية الموافقة ١٣٤٨ مسيحية) لانهُ عمَّ البلاد قاطبةً ومات فيهِ من الناس من لا يحصى عددهم من مسلم وكافر وكانت قوة عملهِ في بلاد الفرنج واقام دائرًا في البلاد نحو سبع سنين حتى عزَّت جميع البضائع لقلَّة الجالب من البلاد وبلغ ثمن الراوية من الماء اثني عشر درهمًا في القاهرة بسبب موت الجمال ولم يزرع من اراضي مصر تلك السنة الاَّ القليل بسبب موت الفلاحين فوقع الغلاء وبيعت كل ويبة قمح بمئتيْ درهم وكادت مصر ان تخرب . ووقع الطعن ايضًا في القطط والكلاب والوحوش ولقد شوهد شيء كثير من الوحوش وهي مطروحة في البراري وتحت ابطها الطواعين وكذلك الخيل والجمال والحمير وسائر الحيوان حتى الطيور مثل النعام وفي ذلك يقول الصلاح الصفدي

لمَّا افترستَ صحابي   يا عام تسع واربعينا
ما كنت والله تسعًا   بل كنتَ سبعًا يقينا

وقال ايضًا

دارت من الطاعون كاس الفنا   فالنفس من سكرتهِ طافحهْ
قد خالف الشرع واحكامهُ   لانهُ يثبت بالرائحهْ

وقال الشيخ زين الدين ابن الوردي

يقولون شمَّ الخل في زمن الوبا   وفاقًا لما قال الاطباءُ يا خلّي
فان قلت للطاعون تسطو على الورى   فقال نعم اسطو وانفكَ في الخلِ

وقال ابرهيم المعمار

قُبِّح الطاعون داءٌ فقدت فيهِ الاحبَّهْ
بيعت الانفس فيهِ كل انسان بحبَّهْ

والَّف فيهِ ابن حجَر كتاباً سماهُ بذل الماعون في اخبار الطاعون” . انتهى باختصار

والَّف ابو الفدا رسالة في هذا الطاعون قال فيها

” طاعون روَّع وامات وابتدأ خبره من الظلمات . ما صين عنهُ الصين ولا منع منهُ حصنٌ حصين . سلَّ هنديًا في الهند واشتدَّ على السند . وقبض بكفيهِ وشبك على بلاد ازبك . وكم قصم من ظهر في ما وراء النهر . ثم ارتفع ونجم وهجم على العجم . وقرم القرم ورمى الروم بجمر مضطرم . وجرَّ الجرائر الى قبرس والجزائر . ثم قهر خلقاً بالقاهرة وتنبهت عينهُ لمصر فاذا هم بالساهرة . الى ان قال

اسكندرية ذا الوبا سبع يمدُّ اليك ضبعهْ
صبرًا لقسمتهِ التي تركت من السبعين سبعهْ

ثم يمَّم الصعيد الطيّب وابرق على برقة منهُ صيّب . وغزا غزه وعسقلان هزَّه . وعكَّ الى عكا واستشهد بالقدس وزكَّى . وصاد صيدا وكاد بيروت كيدًا . ثم صدَّد الرشق الى جهة دمشق . فتربَّع ثم وتمدَّد وفتك كل يوم بالف وازيد . ورمى حمص بجلل وصرفها مع علمهِ ان فيها ثلاث علل . ثم طلَّق الكنَّة في حماه فبرد عاصيها من حماه ”

وكما وصَفهُ كتَّاب المشرق من اهالي مصر والشام وصَفهُ كتَّاب المغرب من الافرنج فتواردت خواطرهم في الكلام عليهِ جدًّا وهزلاً

والظاهر ان هذا الوباء انتشر من احد مربعيهِ (١) في بلاد الصين وسار منهُ بطرق التجارة الثلاث الواحدة طريق خليج فارس الى البصرة فبغداد ومنها الى بلاد العرب ومصر وشمالي افريقية . والثانية طريق الهند الى افغانستان وجنوبي بحر قزبين والبحر الاسود و بر الاناضول . والثالثة طريق تركستان الى القرم والقسطنطينيَّة ومنها الى سائر البلدان الاوربية

وكان تجار جنوى والبندقية يدخلون البحر الاسود بسفنهم و ينزلون حيث مدينة ثيودوسيا الآن مما يلي مدخل بحر ازوف وهناك مرفأ امين فبنوا فيهِ مدينة حصينة سموها كفًّا . وغزا التتر هذه المدينة سنة ١٣٤٧ (٧٤٨ هـ) وحصروها وضيَّقوا خناقها و بلغهم طاعون الصين حينئذٍ بطريقهِ الثالثة وفتك بهم فتكاً ذريعًا حتى كاد يفنيهم فجعلوا يقذفون موتاتهم بالمجانق الى المدينة

---

(١) يعلم للطاعون الآن خمسة مرابع او مواطن اثنان منها في بلاد الصين وواحد في بلاد الهند وواحد في بلاد العرب وواحد في افريقية

لكي يفعل الوباء باعدائهم ما فعل بهم . فكان كما ارادوا وفشا الوباء في المدينة فهجرها سكانها ونزلوا في سفنهم وحملوا العدوى معهم الى القسطنطينيَّة وبلاد اليونان وايطاليا فانتشر فيها سريعاً انتشار النار في الهشيم ولم يحل عليهِ الحول حتى بلغ مرسيليا وانتشر في فرنسا واسبانيا وبلغ انكلترا ووصل في السنة التالية الى المانيا وروسيا وسكندينافيا وشمل اوربا كلها في اقل من اربع سنوات . ولم يذكر في تاريخ الانسان بليَّة عمَّت الدنيا كما عمَّها هذا الوباء او كان فتكها ذريعاً مثل فتكهِ وشرها وبيلاً مثل شرهِ

وكان في السفن المشار اليها رجل اسمهُ ده مُسس عاد بها الى جنوى ووصف حال الوباء فقال "كنا الوفاً فلم يصل منا عشرة فبادر الاقارب والاصدقاء الى لقائنا ولكن ويل لنا فاننا اتينا معنا بسهام الموت المسنونة ونفثنا فيهم سم الهلاك بنفسنا" وقال انهُ مات اربعون الفاً من اهالي جنوى فلم يبقَ فيها سُبع سكانها ومات من اهالي البندقية مئة الف نفس ومن اهالي نابلي ستون الفاً ومن اهالي سينَّا سبعون الفاً ومن اهالي فلورنسا مئة الف

وابلغ مَن وصف هذا الوباء من الاوربيين بكاشيو في كتابهِ المسمى دكامرون اي مئة قصَّة قال "كم من بيوت فاخرة ومن قصور مشيدة اقفرت من سكانها حتى لم يبقَ بها احد . كم من عيال انقرضت ومن اموال تركت لا وارث لها . كم من فتيان وفتيات في عنفوان الصبا وريعان الشباب لو رآهم جالنيوس وبقراط واسكولابيوس في الصباح لقالوا انهم في اتم الصحة والعافية تغدوا مع اقاربهم وتعشوا مع الذين سبقوهم الى الآخرة"

وتفشَّى الوباء من مرسيليا في بلاد فرنسا ودخل اديرة الرهبان فلم يبقِ فيها ديَّاراً وكان البابا في افنيون فدخلها وامات من اهلها ١٨٠٠ نفس في ثلاثة ايام ووصل الى باريس فقتل من اهلها اكثر من خمسين الفاً

ووصل الى انكلترا في اواسط سنة ١٣٤٨ وعاث فيها سنة كاملة وكان سكان لندن حينئذٍ ٤٥٠٠٠ نفس فامات عشرين الفاً منهم

والمظنون ان سكان اوربا كانوا قبل انتشارهِ مئة مليون نفس فمات بهِ ربعهم اي خمسة وعشرون مليوناً . وقُدّر عدد من مات بهِ في المسكونة كلها ثلاثة واربعين مليوناً ولعلهم اكثر من ذلك كثيراً وكان اشد فتكهِ في ايطاليا فمات بهِ نصف سكانها

وتكرَّر انتشار الوباء بعد ذلك الى القرن السادس عشر فخفَّت وطأَتهُ قليلاً حينئذٍ ثم اشتدَّت في القرن السابع عشر ولا سيما سنة ١٦١٩ فمات بهِ في القطر المصري ٦٣٥ الفاً . وتكرر انتشارهُ سنة بعد سنة الى سنة ١٦٢٥ فمات بهِ في القاهرة حينئذٍ اكثر من ٣٠٠٠٠٠

نفس وبلغ اوربا سنة ١٦٢٩ فمات بهِ مليون نفس من اهالي ايطاليا . وفتك باهالي ميلان فتكاً ذريعاً . ويقال ان اهاليها حسبوهُ ناتجاً عن سم يدسهُ الاشرار لغيرهم من الناس فجعلوا يقتلون كل من يشتبهون فيهِ . وقام بعضهم على بعض كالمجانين وكان سكان ميلان نحو ٢٥٠ الفاً فمات منهم ١٤٠ الفاً في قول و١٨٦ الفاً في قول آخر

ثم انتشر مراراً كثيرة بعد ذلك وفتك بمئات الالوف ولا سيما سنة ١٦٦٥ حين دخل مدينة لندن آخر مرة — اتاها من ازمير ففعل بها فعلاً ذريعاً كان سكانها خمس مئة الف فقتل منهم نحو سبعين الفاً وخرج منها ثلاثة آلاف جنازة في ليلة واحدة . وحُرِقت لندن في السنة التالية ثم لم يعد يظهر فيها وافداً بعد ذلك لكنهُ انتشر في بقية اوربا ووصل الى بلاد النمسا فامات من اهالي ڤينَّا سبعين الفاً على قول ومئة واربعين الفاً على قول آخر وامتدَّ من ڤينا الى براغ فقتل ٨٣ الفاً من اهلها

وعاد الى الانتشار في بداءة القرن الثامن عشر قال الجبرتي في حوادث سنة ١١٢٥ هجرية (تعادل سنة ١٧١٣ مسيحية) حَدَث في القاهرة طاعون كان ابتداؤُهُ في غرة ربيع الاول وتناقص في اواخر جمادى الآخرة ولم يزد على ذلك . ووصل هذا الطاعون من الشام الى مرسيليا سنة ١٧٢٠ وعاث فيها فبلغت وفياتهُ الفاً في اليوم وكان الناس يهربون من المطعونين هربهم من الاسد ويتركونهم بلا طعام ولا شراب او يدفعونهم الى بيوت يقيمون فيها ويرمون اليهم الخبز من كواها بآلات كالمجانق وبقي في المدينة خمسة عشر شهراً فقتل اربعين الفاً من اهلها و ٨٨ الفاً من البلاد المجاورة لها . وهو الطاعون الاخير الذي دخل غربي اوربا الى ان ظهر حديثاً في بلاد البرتغال

ووصل الطاعون الى اميركا سنة ١٧٥٥ اوصلهُ اليها رجل ارمني فمات بهِ ٤٣٠٠ نفس من سكانها

ولما جاء بونابرت الى هذا القطر والقطر السوري كان الطاعون فاشياً فيهما وتردَّد عليهما وعلى البلاد المجاورة لهما حتى بلاد الروس مدة اربعين سنة

وما قيل في الطاعون يقال في الجدري والكوليرا ونحوهما من الامراض الوبائية . وفي وسائل القتل العديدة كالحروب والمجاعات والمسكرات فانها كلها تفتك بنوع الانسان وتمنع ازدياد السكان لكنَّ وطأتها خفَّت كثيراً في هذه الايام فلم يعد فتكها عشر معشار ما كان في السنين الغابرة ولا بدَّ من ان تمتلىء الارض بسكانها بعد قرون قليلة اذا لم يشع بينهم داء العقم الذي كثر الآن بين الشعوب الاوربية

اكتشاف اميركا واحتلالها

اذا ذُكِرت الحوادث الخطيرة التي لها الشأن الاكبر في احوال البشر وجب ان يُذكر معها اكتشاف اميركا واحتلالها لا من حين وصل اليها الناس اولاً وسكنوها بل من حين وصل اليها خريستوفورس كولمبوس وذهب اليها اهالي أُوربا بعدهُ واحتلوها وعمَّروها . لان وصول الاولين اليها لم يكن لهُ شأن يذكر في احوال البشر واما استيطان الاوربيين لها فقد نتج عنهُ قيام جمهورية عظيمة فيها تضاهي اعظم الممالك ثروة واشدها منعةً وانتظام ممالك وجمهوريات أُخرى سائرة كلها او اكثرها في سبيل النجاح

وقد طلب الينا بعض الفضلاء ان نلخّص لهم قصَّة ذلك الاكتشاف والاحتلال فجاء طلبهم منطبقاً على ما كنَّا نفكر فيهِ منذ مدة وهو وصف اشهر حوادث التاريخ الحديثة كاكتشاف اميركا وثورة فرنسا واحتلال الهند ونحو ذلك مما جعل عمران القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ارقى من كل عمران سبقهُ صناعةً وتجارة وبوَّأ الاوربيين منصَّة القضاء والسيادة في المسكونة فدانت لهم اقيال الهند وسنُّوا السنن لملوك الصين وجابوا فيافي افريقية ومجاهلها وجعلوا ينشئون فيها الممالك

لما وصل خريستوفورس كولمبوس الى اميركا وجدها آهلةً بالسكان شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بعضهم قبائل رحَّل يعيشون بالصيد والقنص وبعضهم اهل حضارة ونعيم لهم المدن الفخيمة والقصور المشيدة والهياكل الكبيرة والقرى والدساكر وبين هذين الطرفين اقوام متباينون في درجة حضارتهم

ولا يُعلم من مصَّر تلك القارَّة اولاً ولا من اين اتاها سكانها الاولون . ولاهل البحث في ذلك مذاهب شتى سنشير الى المذهب الأَوْجه منها

وكولمبوس كاشف اميركا للاوربيين رجل ايطالي ولد بجنوى سنة ١٤٣٥ او ١٤٤٦ وابوهُ مشَّاط صوف فعلمهُ صناعتهُ ثم بعث بهِ الى مدرسة بافيا الجامعة فاقام فيها مدة قصيرة حتى اذا صار عمرهُ اربع عشرة سنة ذهب في احدى السفن ملاَّحاً وجندياً حسبما كان الملاَّحون في ذلك العصر حتى اذا اشتدَّ ساعدهُ جُعل رئيساً على سفينة وأُرسل الى تونس ليوقع بسفينة من سفنها . وفي سنة ١٤٧٠ كُسرت سفينتهُ عند رأس سنت فنسنت في الطرف الجنوبي الغربي من بلاد البرتغال فركب لوحاً من الخشب وبلغ البر عليهِ . واقام في مدينة لسبون مدة واقترن فيها بابنة رجل ايطالي الاصل كان عاملاً من قبل ملك البرتغال على

بورتو سانتو جزيرة صغيرة قرب جزائر مديرا غربي المغرب الاقصى . وذهب الى هذه الجزيرة واقام فيها مدةً وكان يكتسب معيشتهُ برسم الخرائط للبحَّارة فاضطرَّ ان يبحث وينقب في خرائط حميهِ ويباحث شيوخ النوتية عما لقوهُ من المشاق في اسفارهم فاستنتج من كل ما رآهُ وسمعهُ انهُ لم يزل جانب كبير من الارض مجهولاً ويمكن الوصول الى طرف آسيا الشرقي بالسير اليهِ غرباً واطلع طبيباً فلورنسياً على هذا الرأي فاقنعهُ بصحتهِ

وكان كثيرون قد ارتأَوا مثل رأْيهِ قبلهُ وابعد واحد من اهالي البرتغال الفاً ومئتي ميل عن رأْس سنت فنسنت غرباً محمولاً بتيَّار عنيف فوجد قطعة من الخشب طافية على وجه الماء وفيها آثار تدل على انَّ يد الانسان عملت بها . والتقط صهر كولمبوس انابيب كبيرة من القصب امام بورتو سانتو يسع الانبوب منها نحو اقتين من الخمر وهي مما لا ينبت الاَّ في بلاد الهند فهذه الامور وامثالها قوت اقتناعهُ بانهُ اذا واصل السير غرباً بلغ بلاد الهند

وسار سنة ١٤٧٧ حتى بلغ شمالي البلاد الانكليزية ولا يبعد ان يكون قد سمع وهو هناك عن وصول بعض اهالي نروج الى بلاد مجهولة واستيطانهم لها قبل ايامهِ بخمس مئة سنة وانقراض نسلهم منها . فعزم على الرحلة الى هذه البلاد وجعل يفتش عمَّن يمدهُ بالمال والرجال وطلب ذلك اولاً من مجلس جنوى مسقط رأْسهِ فرفض المجلس طلبهُ . ولما رأَى ان ابناء وطنهِ لم يحفلوا بهِ لجأ الى يوحنا الثاني ملك البرتغال فاحالهُ على لجنة من العلماء تنظر في المسائل الجغرافية التي من هذا القبيل . فكان قرارها على غير مرادهِ . وكان الملك ميَّالاً الى البحث عن البلدان الجديدة فاشار عليهِ احد الاساقفة ان يرسل سفينة تضرب في عرض البحر الغربي خفية عن كولمبوس ففعل وبعث بالسفينة فسارت الى ان يئس بحارتها من طول الشقَّة فعادوا بها ادراجهم . وعرف كولمبوس ذلك فاغتاظ من هذه المخاتلة وبعث بكتاب الى الملك هنري السابع ملك الانكليز يعرض عليهِ رأْيهُ ويطلب منهُ المساعدة على تحقيقهِ . ولا بدَّ من ان يكون قد وعدهُ بان يكتشف الارض الجديدة باسمهِ كما وعد غيرهُ

ثم هرب من بلاد البرتغال الى اسبانيا وقصد دوق مدينة صيدونيا جنوبي اسبانيا وطلب مساعدتهُ فلم يحفل بهِ بل حسب رأْيهُ من قبيل الاوهام . فتركهُ وقصد دوق مدينة سلي فانزلهُ على الرحب والسعة واكرم مثواهُ وعزم ان يجهزهُ بثلاث سفن ولكنهُ عاد فرأَى ان العمل كبير فوق طاقتهِ فاهملهُ . وعزم كولمبوس ان يستعين بملك فرنسا فصرفهُ هذا الدوق عن عزمهِ وكتب الى الملكة ايزابلاَّ (١) ملكة قشتالة (Castilla) يتوسَّل اليها ان لا تدع عملاً مثل

---

(١) انتقل اليها ملك قشتالة بعد وفاة اخيها الملك هنري الرابع واقترن بها فردينند ملك اراغون وصقلية

هذا يذهب الى الغرباء فامرت بمجيء كولمبوس اليها الى قرطبة Cordova

وكانت الحرب ناشبة بين العرب نزلاء اسبانيا و بين اهلها الاصليين فلم تجد الملكة ايزابلا مجالاً للنظر في طلب كولمبوس لكنها اكرمت مثواهُ وامرت واحداً من خواصها ان ينظر في طلبهِ . ولم يكن الا القليل حتى اقنع كثيرين بصدق دعواهُ وسار مع حاشية الملكة الى سلمنكا ولقي هناك الكردينال مندوزا صاحب الصول والطول في اسبانيا . وظن هذا الكردينال اولاً ان في رأي كولمبوس رائحة الكفر لكنهُ اقتنع بصحتهِ حالاً واقنع الملك فرديننند زوج الملكة ايزابلا حتى قابل كولمبوس وسمع ما يقولهُ واحالهُ على مجلس من علماء الفلك والجغرافية سنة ١٤٨٧ فبسط كولمبوس ادلتهُ لاعضاء هذا المجلس فناقضوهُ وقاوموهُ واستدلوا على فساد آرائهِ بكثير من آيات التوراة واقوال آباء الكنيسة وبعد جدال طويل دام نحو ثلاث سنوات اقرَّ المجلس على ان رأيهُ باطل لا يعمل بهِ

وكان كولمبوس في كل هذه المدة يسير في حاشية الملك والملكة وهما يحاربان العرب وحضر حصار مالقة Malaga فلما حكم المجلس برفض طلبهِ سار قاصداً فرنسا ودخل في طريقهِ ديراً في الاندلس وطلب ماء وطعاماً لابنهِ فسألهُ رئيس الدير الى اين يقصد فاخبرهُ بقصدهِ فدعاهُ الى داخل الدير وكان فيهِ طبيب ماهر في علم الجغرافية فاخذ يباحثهُ في امر الوصول الى الهند فاقنعهُ كولمبوس بصحة رأيهِ وكان رئيس الدير قبل ذلك معرّفاً للملكة ايزابلا فكتب اليها عن كولمبوس فاتاهُ الجواب منها ان يأتي اليها بهِ وارسلت اليهِ نفقات السفر . ووصل الى غرناطة وقتما استلمها الاسبانيون من العرب

وطُلب من كولمبوس حينئذٍ ان يبين الشروط التي يشترطها لكشف هذه البلاد الجديدة فطلب ان يعطى لقب امير البحر (اميرال) ويجعل والياً على كل البلدان التي يكتشفها وعشر ما يرد منها سواء كان من الغنائم او من التجارة فرُفض طلبهُ . وفي شهر يناير من سنة ١٤٩٢ اقلع من اسبانيا قاصداً فرنسا ولكن تشفَّع بعضهم في امرهِ لدى الملكة واقنعها بمساعدتهِ فارسلت اليهِ رسولاً ادركهُ على غلوتين من غرناطة وردَّهُ اليها وفي السابع عشر من ابريل سنة ١٤٩٢ أُمضي الاتفاق بينهُ وبين الملكة وزوجها ولم يكن اعداد السفن والبحَّارة بالامر السهل لانهُ لم يكد يجد من يخاطر بنفسهِ مثلهُ في مجاهل البحار . وبعد عناء شديد أُعدت لهُ ثلاث سفن وهي سنتا ماريا وفيها خمسون بحاراً وكانت ادارتها في يدهِ والبنتا وفيها ثلاثون بحاراً وقيادتها في يد مارتن بنزون والنينا وفيها ٢٤ بحَّاراً وقيادتها في يد اخيهِ فيسنت بنزون وجملة النفوس ١٢٠ . واقلعت هذه السفن يوم الجمعة في الثالث من اغسطس سنة ١٤٩٢ ووجهتها

جزائر كناري و بعد ثلاثة ايام اضاعت البنتا دفتها فاضطرَّ كولمبوس ان يرسو بسفنهِ في مرفإ تناريف مدينة كناري ليصنع لها دفةً غيرها وعاود السير في السادس من سبتمبر وفي الثالث عشر منهُ شاهد رجالهُ انحراف الابرة المغنطيسية اول مرةً عن الشمال والجنوب فارتاعوا من ذلك وزاد ارتياعهم بعد يومين اذ رأَوا نيزكًا كبيرًا وقع من السماء على مقربة منهم . وبلغوا في اليوم التالي مكانًا رهوًا ولقوا نسيمًا عليلاً تطيب بهِ النفوس فاطمأَنُّوا ثم زاد انحراف الابرة المغنطيسية فزاد اضطرابهم الاَّ ان كولمبوس فسَّر لهم ذلك بما سكَّن روعهم . وشاهدوا حينئذٍ كثيرًا من طيور البحر فايقنوا انهم مصيبون برًّا عن قريب ولما لم يصلوا الى البر تذمروا وتمرَّدوا وكانوا يشاهدون احيانًا ما يظنونهُ برًّا قريبًا فتطيب نفوسهم حتى اذا بلغوهُ ورأَوهُ سراب بقيعة عادوا الى التذمُّر والتمرُّد الى ان كان الحادي عشر من اكتوبر فالتقطت بحارة البنتا قناةً وقطعةً من الخشب وعصاً ولوحًا وشاهدت بحارة النينا وتدًا عليهِ نبات مزهر . وفي المساء شاهد كولمبوس نورًا في الافق وفي الساعة الثانية صباحًا رأَى البرَّ بحَّارٌ من بحَّارة النينا وكان هذا البر اول جزيرة من جزائر اميركا وقد ظُنَّ اولاً انها الجزيرة المسماة الآن سان سلڤادور ثم اتَّضح انها الجزيرة المسماة الآن سامَنا . ونزل فيها كولمبوس ذلك الصباح وهو لابس حلَّة فاخرة ومعهُ العلَم الاسباني ونزل معهُ الربَّانان الآخران وفريق كبير من البحارة وركعوا على ركبهم وشكروا الله والدموع ملءُ عيونهم وتقدَّم اليهِ البحَّارة الذين تمرَّدوا عليهِ قبلاً واسترحموهُ وطلبوا عفوهُ

والجزائر هناك كثيرة قريبة بعضها من بعض فاكتشف كولمبوس كثيرًا منها واشهرها واكبرها جزيرة كوبا وجزيرة هايتي وسمَّى هايتي هسبانيولا وارتطمت سفينتهُ عندها لاهمال بحارتها لها فاضطر ان يخرج كل الامتعة منها ويتركها هناك وانشأ مستعمرةً في تلك الجزيرة وترك فيها ٤٣ نفسًا من بحارتهِ واقلع في النينا في السادس عشر من شهر يناير سنة ١٤٩٣ قاصدًا اوربا وكانت البنتا قد افترقت عنهُ فتبعتهُ بعد اربعة ايام وبعد عناء شديد بلغ مرفأً لسبون في الرابع من شهر مارس فاستقبلهُ ملك البرتغال بالاكرام والترحاب

وكان بلاط الملكة ايزابلا في برشلونة فمضى كولمبوس اليها فاستقبلتهُ هي وزوجها ورجال بلاطهما وقصَّ عليهم اخبار سفرهِ واراهم بعض ما اتى بهِ من الذهب والقطن والاسلحة والنباتات الغريبة والطيور والوحوش وتسعة من هنود اميركا جاء بهم معهُ . فاقرَّ الملك والملكة على ما منحاهُ قبلاً من الالقاب والامتيازات ونودي قدامهُ كعظيم من عظماء اسبانيا وصُنع لهُ ترس عليهِ شعار قشتالة وليونة اي القصر والاسد

وفي الخامس والعشرين من شهر سبتمبر اقلع بثلاث سفن كبيرة واربع عشرة سفينة

صغيرة و ١٥٠٠ رجل وكثير من الادوات اللازمة للاستعمار فبلغ جزائر الهند الغربية التي بلغها اولاً واكتشف جزائر كثيرة لم يكتشفها قبلاً وبلغ جزيرة هايتي فوجد المستعمرة التي انشأها فيها قد لعبت بها ايدي سبا فعزم على انشاء مستعمرة غيرها

الى الآن كان كولمبوس يكتشف الجزائر التي لم ترها عين الاوربيين قبلهُ فنجح في ذلك نجاحاً بيناً ولكنهُ حالما شرع في استعمار تلك الجزائر واستخراج الذهب منها وسلب الغنائم من اهلها توالت النوائب عليهِ لان هواء البلاد لم يوافق الاسبانيين واهاليها الذين رحَّبوا بهم اولاً قلبوا لهم ظهر المجن الآن وقابلوهم بالعدوان . ومرض هو حتى كاد يقضي نحبهُ ولما شفي رأى ان لا بدَّ لهُ من اخذ الهنود بالقوة فاسر منهم خلقاً كثيرًا وارسلهم الى اسبانيا فبيعوا فيها عبيدًا وضرب الجزية الفاحشة على الذين بقوا في البلاد منهم

وقام لهُ خصوم في بلاط اسبانيا حسدًا فوشوا بهِ واوغروا الصدور عليهِ فبعث الملك والملكة واحدًا يبحث عن اعمالهِ فاوجس كولمبوس شرًّا وعاد الى اسبانيا في ١١ مارس سنة ١٤٩٦ فوصل الى قادس في ١١ يونيو واقنع الملك والملكة باستقامتهِ ونجاح عملهِ وطلب منهما ثماني سفن للاستعمار وست سفن لمواصلة الاكتشاف . ولم تكن خزينة اسبانيا في حالة راضية لكن الملكة كانت شديدة الرغبة في اجابة طلبهِ وجهزت لهُ ست سفن فاقلع بها في ٣٠ مايو سنة ١٤٩٨ وبعد عناء شديد رأى احد البحارة ارضاً لم يروها قبلاً وثلاث انداد اي تلال فيها فسموها ترينداد اي الانداد الثلاث وهو اسمها الى اليوم . وفي غرة اغسطس سنة ١٤٩٨ رأى طرف البر من قارة اميركا الجنوبية فظنهُ جزيرةً وظلَّ يسير غرباً وهو يرى الرؤُوس الناتئة من البر فيظنها جزائر الى ان رأى الماء الغزير الذي ينصبُّ من نهر اورينوكو فحكم ان البلاد قارةٌ كبيرة وانها هي ضالتهُ المنشودة

ثم افتقد المستعمرات التي انشأها في طريقهِ فوجدها في حالة يرثى لها لان اهاليها ثاروا بالسكان او ثار السكان بهم ونشبت الحروب بينهم وسفكت الدماء واسر رجالهُ كثيرين من السكان وبعثوا خمس سفن الى اسبانيا مشحونة بالاسرى عبيدًا . فاغتاظت الملكة ازابلا من ذلك وقالت مَن اباح لهُ ان يأسر هؤُلاء المساكين وامرت ان ينادى في اشبيلية (Seville) وغرناطة وغيرهما من المدن الكبيرة بعتق كل العبيد الذين اتي بهم من جزائر الهند الغربية اخيرًا . فاغتاظ الذين اتوا بهم من هذه الخسارة ولم يجدوا سبيلاً لتنفيس كربهم الاَّ بالتظلُّم من كولمبوس واخويهِ واجتمعوا في ساحة الحمراء وعلا صياحهم فاصغت الملكة اليهم وعينت رجلاً اسمهُ بوبادلا حاكماً على هايتي وامرتهُ ان ينزع الولاية من كولمبوس ويبحث عن حقيقة

الشكاوى ويرفع ظلامة المتظلمين

وكان كولمبوس قد اخمد ثورة الثائرين في هايتي ونصَّر اهاليها واستخرج كثيرًا من الذهب حتى بلغ نصيب الدولة الاسبانية منهُ ستين مليونًا من الريالات ولكن وصل بوبادلاً الوالي الجديد حينئذٍ واستولى على بيت كولمبوس وقبض عليهِ وعلى اخويهِ ورفعت الشكاوى عليهم بانهم مرتشون ظالمون عتاة حتى رأى كولمبوس انهُ غير ناجٍ من القتل لكن بوبادلاً لم يقتلهُ بل كبَّلهُ بالقيود هو واخويهِ وبعث بهم الى اسبانيا

وكان ربَّان السفينة التي ارسلوا فيها على جانب من الشهامة فاراد ان يفك قيود كولمبوس فلم يقبل بذلك بل قال لهُ يجب ان تبقى هذه القيود كما هي الى ان يفكها الملك والملكة ثم احتفظ بها تذكارًا للجزاء الذي نالهُ . وفعل كما قال وعلَّق هذه القيود بعد ذلك في غرفتهِ لتدفن معهُ بعد موتهِ

ووصلت السفينة بكولمبوس واخويهِ وهم في القيود وكتب كولمبوس الى السيدة التي كانت تربي ابنة الملك كتابًا يلين الجماد بما فيهِ من التظلُّم والتذلُّل واطَّلعت عليهِ الملكة فرقَّت لهُ ورثت لحالهِ ومال اليهِ كل اهل البلاد ففكَّت قيودهُ وقوبل بالإكرام والاجلال حتى يقال ان الملكة بكت لما سمعتهُ يقص قصتهُ . وعزل بوبادلاً من الولاية وعين والٍ آخر بدلاً منهُ وانهالت الهبات الملكية على كولمبوس ولكن لم يردَّ الى ولاية البلاد التي اكتشفها

وكانت نفس كولمبوس لا ترضى بالسكينة والراحة فطلب ان يجهَّز بسفنٍ اخرى ليذهب ويكتشف طريقًا يصل الى المشرق الاقصى الى املاك البرتغاليين في اسيا فأُعطي اربع سفن و١٥٠ بحارًا وأُمر ان لا يدخل جزيرة هايتي فاقلع من قادس في ٩ مايو سنة ١٥٠٢ واكتشف جزيرة مرتنيك في ١٣ يونيو وثارت عليهِ العواصف واضطرتهُ ان يلجأَ الى هايتي ولكن واليها منعهُ من النزول فيها. وبعد مشاق يطول وصفها وصل الى البرزخ الموصل بين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية فوجد هناك ذهبًا كثيرًا وانشأَ مستعمرة ترك فيها ثمانين من رجالهِ ولكن ثارت الفتن بينهم وبين السكان الاصليين حالاً فاضطرَّ ان يترك لهم سفينة من سفنهِ ليعودوا بها الى وطنهم وعاد هو بطريق كوبا واخذ الزاد من اهاليها وسار الى جمايكا وجنحت سفنهُ هناك في مكان يسمى كهف خريستوفورس الى الآن وهشَّ لهُ السكان وانزلوهُ على الرحب والسعة لكن رجالهُ اساءوا اليهم فابتعدوا عنهُ ومنعوا عنهُ الزاد الى ان انبأَهم بخسوف قريب فخافوهُ وعادوا الى اكرامهِ . وكان قد ارسل يطلب النجدة من الجزائر الاخرى التي نزلها الاسبانيون فاتتهُ سفينتان عاد بهما الى اسبانيا فبلغها في ٧ سبتمبر سنة ١٥٠٤ بعد عناءٍ شديد ومخاطر كثيرة

وتوفي في ٢٠ مايو سنة ١٥٠٦ ودفن في اسبانيا اولاً ثم نقل الى هايتي ودفن في كنيستها . ولما انتقل قسم اسبانيا من تلك الجزيرة الى فرنسا نقل رفاتهُ الى هافنا بكوبا . ويقال ان رفاتهُ لا يزال في هايتي والذي نُقِل انما هو رفات ابنهِ ففي سنة ١٨٧٧ وجد قبر في كنيسة هايتي عليهِ حروف تدل علي انهُ قبر" مكتشف اميركا الاميرال الاول " وعلي التابوت الذي فيهِ ثلاثة حروف .C. C. A اي خريستوفورس كولمبوس الاميرال

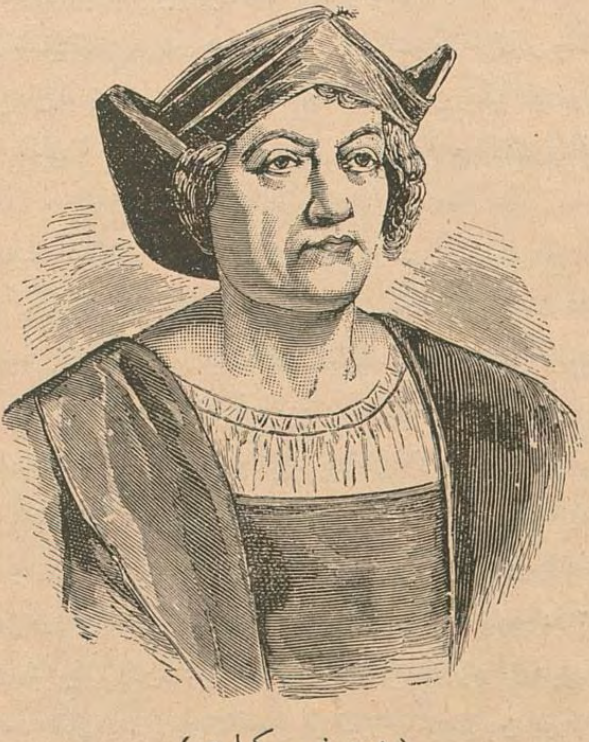

(خرستو فورس كولمبوس)

وكان كولمبوس طويل القامة كبير العينين جميل المنظر شاب شعرهُ وهو في الثلاثين من عمره . وكان غير متأنق في مأكلهِ ومشربهِ ولباسهِ شديد التديُّن يكثر من الصوم والصلاة حتى يظن مَن يراهُ انهُ من الرهبان . عالي الهمَّة يقتحم المخاطر لنيل مقاصدهِ غير مبالٍ بخداع المخادعين وختل المخاتلين

وسنتم الكلام على كشف اميركا ونفصل تاريخ شعوبها الذين كانوا فيها وكيفية فتح الاسبانيين لها وتقويضهم دعائم عمران ارقى من عمرانهم واعظم

مستقبل الصين

الخاتمة

بقي علينا لأَخذ صورة تامة عن بلاد الصين امرٌ عظيم هو عمدة هذه المملكة ومزيتها ومعوَّل الذاهبين الى ثبات مستقبلها ومتانة منقلبها أَلاَ وهو كثرة عديد اهلها وزخور لجج النفوس البشرية في ارجائها حتى انهم ليبلغون ثلث هذه العترة الآدمية ويمثلون واحدة من ثلاث فصائل الانسانية . ولم يعهد ان شعباً بلغ هذا المبلغ من الحصى وهو يؤُول الى جلدةٍ واحدة ويخضع لسلطان واحد . فالصين ثماني عشرة مملكة او اقليماً اذا اضفت اليها مندشوريا الجنوبية صارت تسعة عشر اقليماً كل اقليم منها ينقسم الى ولايات واسم الولاية عندهم فو وينقسم الفو الى مقاطعات اسم الواحدة منها تشيو وينقسم التشيو الى كور واسم الكورة منها هيان وقد تسمَّى بهذه الاسماء الامصار والمدن التي هي مراكز الولايات والعمالات . وان القرى التي تتأَلف منها الكورة تسمَّى باو ويقال لها ايضاً تو والكورة او الهيان تتألف من ٥٠ الى ٧٠ قرية ويوجد منها ما هو متعلق بمراكز الولايات رأْساً فيسمَّى تشيلي تشيو ومنها ما هو تحت الادارة العسكرية ويقال لهُ تين وان كانت مراجعتهُ لمراكز الولايات رأْساً قيل لهُ تشيلي فين . ولا نرى لزوماً لوضع جدول احصاء الاقاليم كلٍّ على حدة مما يستغرق محلاً واسعاً وليس هو المقصود بالذات وانما نقول ان الاحصاء الذي جرى سنة ١٨٤٢ اسفر عن اربعمائة مليون واربعة ملايين واربعة وعشرين الفاً وستمائة واربع عشرة نسمة . ولا شيء يشبه الرمل والنمل مثل هذا . وعُدِّلت مساحة هذه البلاد باربعة ملايين واربعة وعشرين الفاً وستمائة وتسعين كيلو متراً مربعاً فاصاب الكيلو متر الواحد مائة نسمة من السكان وهو شأو بليغ في العمارة . ويوجد في الصين نحو ١٩٠ مدينة من الامصار الممصَّرة والقواعد والحواضر والمَدَر الكبار عدا القصبات والمدن الصغار . وغير خافٍ انهُ مضي على هذا الاحصاء نحو ستين سنة ونيفٍ فلا بدَّ ان تكون النفوس زادت في هذه البرهة زيادة عظيمة ولولا استئصال الفتن المتتابعة بعض ولايات الصين وانهم في شرب الدماء يشتفُّون وفي التقتيل لا يبقون ولا يذرون لاربى عدد اهل الصين على الخمسمائة بل الستمائة مليون ولضاقت بهم آسية بما رحبت وتحرَّجت الارض بابناء السماء

وحيث قد بسطنا من أَحوال هذه المملكة ما نظنهُ كافياً لمعرفة سرائرها ووطأْنا من امورها ما فيهِ مقنع لتشخيص دائها واستشفاف ما انطوت عليهِ جوانحها على تنكُّبنا لطريق الاطناب

خوف تبرّم القراء آن لنا ان نتكلم شيئاً عما نرجمهُ من مستقبل الصين الذي هو عنوان مقامنا ومدار خطابنا واذا كان مستقبل الصين وكل مستقبل في الارض منوطاً الآن بالعلاقة الاوربية مربوطاً بالحضارة الغربية لزم ان نوطئ شيئاً عن علاقة الصينيين بالغربيين وعلاقة الغربيين بالصينيين فنقول

سنة ١٨٧٩ لم يكن للغربيين في جميع بلاد الصين سوى ٤٥١ محلاً تجارياً منها ٢٢٩ محلاً للانكليز والباقي لسائر الاوربيين وكان في جميعها ٣٩٨٥ شخصاً اذا اضفت اليهم السيّاح والمبشرين بلغ عدد جميع الافرنج في الصين ٥٠٠٠ نسمة . وقد ازداد هذا العدد زيادة عظيمة منذ ذلك العهد ولكنهُ لا يزال قليلاً بالنسبة الى اعداد الصينيين الهائلة ولا يزال كالشعرة البيضاء في الثور الاسود . وانما كان تأثير هذا العدد القليل عظيماً في احوال الصين وعاداتها ومآخذها ومناحيها وكان لهُ فعل علي تجارتها وصناعتها ولغتها وحسبك انهُ تشعب في السواحل لغة من اللغة الانكليزية فاوسعها التجار الصينيون فخلطوها بشيء من لغتهم فصارت مزيجاً من اللغتين وساعدتهم على التعبير عن كثير من الافكار الجديدة والمعاني المحدثة والاغرب من هذا ان اساس هذه الرطانة برتغاليّ لا انكليزيّ فصارت هذه اللغة الجديدة مترشحةً عن لغات ثلاث

هذا من امر اللغة واما من امر الاخلاق والعادات فكان الصينيون في البداءة لا يخرجون من بلادهم ولا يخالطون غريباً ولا يعرفون الغربة والسلطان يحظر عليهم ذلك وما زالوا على هذه الحال حتى وطئت ديارهم اقدام الافرنجة فعوّدوهم السفر وجرّأوهم على الاغتراب فانسلّت منهم جماعات خفيةً ثم تتابعوا حتى بلغ عدد المهاجرين منهم الى الآن ثلاثة ملايين في بلاد الغربيين واما البلاد الغربية من الصين والاصقاع الشرقية ففيها اضعاف هذا العدد من الجالية الصينية لأن الذين خرجوا الى ما وراء السور مثل منغوليا ومندشوريا وكانسو الخارجية يناهزون الثلاثة عشر مليوناً عدا الجالين الى جزر البحر المحيط والممالك الهندية الصينية وهم لا ينظرون الى هذه البلدان بالعين التي ينظرون بها الى بلاد المسيحيين فإنهم يدفنون في تلك موتاهم ويستصحبون اليها نساءهم وليس امرهم كذلك في شيلي وبيرو وكاليفورنيا فانهم يرسلون منها جثث موتاهم الى بلادهم الاصلية تطوى المسافات الطوال لئلاَّ تدفن خارجاً عن بطن امهم الارض الصينية وكذلك لا يزال السفر الى الخارج محظوراً على النساء فكثيرون من الصينيين اذا عزموا على الرحيل وتركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً باعوهم بيعاً لئلاَّ يهلكوا جوعاً فآثروا بيع نسائهم واولادهم على تغريبهم الى الخارج . والتزوج مع الاجانب ممنوع عندهم فلا

كفوء للصينية عندهم غير الصيني ومن خالف ذلك فقد باء بغضب من السماء . وكل اطوار هذه الامة تدلك على شدَّة استمساكهم باطوارهم القديمة ونفورهم من كل غريب عنهم وانهم يريدون ان يبقوا صينيين كما كانوا منذ اربعة آلاف سنة

وفي ايّ محلٍ وجدوا من بلاد الغربة تساندَ بعضهم على بعض وانضموا كبَّةً واحدة لانهم احنى الناس ضلوعاً بعضهم على بعض واكثرهم غراماً بالانضمام والاجتماع ولهذا تكثر عندهم الجمعيات فلكل شيء عندهم جمعية ولكل عملٍ عصبة وهم ينصبُّون عليها جميعاً الرؤساء والنقباء حتى يقال ان المتسولين منهم لهم رؤساء ونقباء كغيرهم . واينما حلوا وحيث نزلوا قطعوا ارزاق غيرهم بصبرهم العجيب وثباتهم الغريب وقناعتهم الموصوفة وكونهم قوماً يعتادون كل شيء حتى اصبحت مزاحمتهم لا تطاق ومجاورتهم احرّ من مجاورة النار ذات الوقود . ولما شوهد منهم هذا الالحاح في المسابقة ثاروا بهم في اميركا يقتلونهم وعقدت الولايات المتحدة معاهدة مع الصين بمنع سفرهم الى هناك وضيقوا عليهم في الجزر التابعة هولنده من البحر المحيط وعينوا لهم اماكن مخصوصة للسكنى وحرفاً مخصوصة لا يتعدونها في الشغل

وقد كان لهذه المهاجرة وذاك الاختلاط مع الغربيين تأثير عظيم على مصير امور هذه المملكة وفعلٌ بيّن في اخلاق اهلها ولولا حجر الحكومة الصينية وضغطها على امتها وانتباذها من وراء سورها لا تفسح في دخول الفنون الاوربية فيما بينها لكانوا تدرَّجوا تدرُّجاً لا يباريهم فيهِ احد في مراقي التمدن الاوربيّ لانهم قوم صنعُ الايدي والاوربيون قيام امرهم الصناعات ولانهم يجيدون التقليد ويحسنون المباراة ولا يرون شيئاً الاَّ ذلَّلتهُ ايديهم وكثيرون منهم اصبحوا يقدرون الحضارة الاوربية قدرها ويعلمون ان علومهم القديمة قد نُسخت آيتها وانها صارت لا تفي بغرضهم ولا تجيء من وراء حاجتهم وان الاوربيين سادوا وشادوا وادركوا ما ارادوا بدون ان يتمّ لهم وقوف على كليات كنفوشيوس الخمس فابتدأوا يتدارسون علوم الافرنج وترجمت الوف من كتب هؤلاء الى اللسان الصينيّ على ما في الترجمة الى الصينيّ من الصعوبة وسارت لهم جرائد وانتشرت مجلات واقبل عليها القراء اقبال العطاش على مورد عذب

وعليهِ فان كان العلم هو الملك حقًّا وكانت اوربا لم تطلّ على هذه الغايات المتطاولات من الحول والقوة والانبساط والاستعلاء الاَّ بعزائم العلم وكرامات الفن فلا شك ان الصينيين يحرزون هذا العلم يوماً من الايام ويحمون بهِ ذمارهم لانهم مهما دافعوا تيَّارهُ عنهم فلن يستطيعوا دفعهُ بعد ان خيَّم الافرنج بدراهم ولان الحاجة تقضي عليهم بان يولوا وجوههم شطر

الغرب للاستنارة بعلومهِ والتترُّس بها ضد من يروم استباحة حماهم والناس اشبه بزمانهم منهم بآبائهم . والصينيون قومٌ يحترمون العلم و يعظمونهُ ويرحبونهُ فوق كل شيءٍ حتى ان اسم العلم عندهم الذي هو كياو يعنيَ بهِ الدين ايضاً فكأَنهم جعلوا العلم والدين عندهم في ميزانٍ واحد والتعلم فريضة على جميع الذكور لا مندوحة عنها وفي كل قرية مكتب ينفق عليهِ من المجلس البلديّ . وللعلم والعلماء والكتابة حتى الكاغد عندهم شأن يتورَّعون فيهِ ولا ورع العبادة. وان قيل ان الصينيين بتعصبهم لعلومهم البالية و بغضهم للاجانب يتحرجون من اخذ شيءٍ عنهم كما يفهم من نفس مقالك هذا قلت ان الزمان الذي من غالبهُ غُلِب سوف يقودهم الى طاعة العلم الصحيح ويجدع مارن كبريائهم وانهُ مع ذلك مخطيءٌ من يظن كون التغيير عند الصين مخالفاً لمذهب كنفوشيوس فقد حصلت في الصين انقلابات كثيرة ولم يكن فيها شيءٌ سرمداً وقد وود في اقوال ذلك الفيلسوف الاكبر عندهم "ان شئت ان تصلح نفسك فجدّدها كل يوم" ولئن كان التجديد بطيئاً الى الآن فالعلة فيهِ كبر الصينيين وشموخهم بانوفهم عن الاقرار بضعفهم وتوهمهم بانهم اعلى الامم كعوباً في الحضارة وانهم الامة الوحيدة في الارض و بديهيٌّ انهُ يصعب عليهم الانتقال من هذا الزعم الى كونهم دون الاوربيين بمنازل دفعةً واحدة وانهُ لا بد لذلك من التدريج والطفرة محال كما لا يخفى

نعم ان الصينيين لا يتقدمون في هذا الامر تقدم اليابانيين لانهُ ليس عندهم اقدام اليابانيين ولاحماسهم وانما يقابل ذلك منهم الصبر والثبات وهو عامل لا يقلُّ عن الاول نفوذاً في تقدم الامم

بقي علينا ان نتساءل هل تبقى الصين لاهلها ام يغير عليها الاوربيون من كل جهةٍ فيتقاسمونها فيما بينهم وهو المراد بمستقبل الصين والموضوع بحثٌ لافاضل الكتّاب واهل النظر يقتدحون فيهِ زناد الافكار وكل يؤيد مذهباً و يعضد رأياً فذهب بعضهم الى ان مصير الصين كمصير غيرها من غير الاوربيين وهو السقوط في ايدي ابناء الغرب ان لم يكن عاجلاً فآجلاً وذلك لما ظهر من وهن قوتها الحربية وانها مملكة لينة المعاطف سهلة فلا يخشى بأسها ولا يُتعب مراسها وانهُ ان كان الخلاف الدوليّ حائلاً الى الآن دون تشطُّر اضرعها فلا بد ان الضرورة تقضي بقسمةٍ مناسبة يخرج منها كل فريقٍ بسهم يُرضيهِ فالروسية تطمح الى منشوريا وقد شرعتْ في ان تأخذها وانكلترا وفرنسا واليابان والمانيا كل دولة منها ترتضي بولايةٍ كبيرة لا تتعداها الى اختها وهلم جرًّا وذهب آخرون الى ان مستقبل الصين انما هو لليابان لانها دولة شرقية كدولة الصين والضرورة تحكم علي الصينيين بموادّة اليابان لا حبًّا بهم بل بغضاً

بالاوربيين وانهُ قد يجيء زمن تتفق فيهِ هاتان الامتان وتقومان يدًا واحدة على الغريب . وكل من الافتراض الاول والثاني ترد عليهِ الاعتراضات الكثيرة لأَن اوربا لا يسلم بعضها لبعض بالاستيلاء على الصين وان التجزئة التي يحلم بها بعضهم غير متيسرة بل هي باب للحرب من ثاني يوم واذا كان الاوربيون لا يسمحون فيما بينهم بتركة الصين فكيف يسمحون لليابان وهي شرقية وهم لا يطيقون رجوع العلاء للشرق . وقال آخرون ان مستقبل الصين انما هو للاسلام بما وجدوا من الفرق بين الصيني" المسلم والصيني" الوثني" وان الاول يفضل الثاني من كل وجهٍ ورأَوا انهُ اذا اعيت عقائد الصينيين عن النهوض باهلها فانهم يفضلون الاسلام على غيرهِ من الاديان لانهم يكرهون الاوربي وديانتهُ كراهة دلَّت عليها الحوادث الاخيرة والاسلام دين قسمٍ منهم فالارجح انهم يميلون اليهِ وهو يزداد بين ظهرانيهم بسطةً وظهورًا . وقد تخوَّف كثير من سياح الافرنجة من عاقبة تقدُّم الاسلام هناك كما قدمنا في جزءٍ ماضٍ من المقتطف . والذي نراهُ انهُ ان كان المقصود بالمستقبل هو المستقبل الديني" فربما كان للاسلام الرجحان على غيرهِ في تلك البلاد ولا شك انهُ يمشي في قلب الصين كما يمشي في قلب افريقية وان اوربا لا تنظر بعين الرضى الى هذا التقدم ولو اخفى ذلك رجال السياسة في صدورهم وان المسلمين يتعزَّون على تأخر دنياهم في هذا القرن بتقدم دينهم . ولكن لو كانت وفرة العدد كافية بدون التمدن لاغنت الصينيين انفسهم وهم اكثر من اهل الاسلام عددًا وكيف نرجو ان يستأْثر الاسلام بملك الصين على مرأَى من دول الغرب وهو يعجز عن حفظ ملكهِ القديم واذا احسَّ اهل الغرب منهُ نبأَة للنهوض في ارضهِ اخذوا بخناقهِ فما ظنك لو تحرك في ارض غيرهِ لا جرم ان دول اوربا تقاتل قتال المستميت دون ان ترى مملكة الصين في ايدي المسلمين خشية ان تجمع يومًا بين التمدن الاوربي" والدين الاسلامي" فتكون الضربة القاضية على ملك الاوربيين في المشرق

ثم من الناس من يظن ان مآل امر الصين انما هو الى الروسية لأَن الروسية اشد جارات الصين بأْسًا واحسنهن" مستقبلاً" وهي تتاخمها مسافة ثمانية آلاف كيلومتر وقد تحيفت من جوانبها ما لم تتحيفهُ دولة سواها وصيَّرت منشوريا تحت طائلة نفوذها وزأَر اسدها في سواحل كوريا ومدخل البحر الاصفر وبوغاز جزر اليابان فهي ذات الكلمة العليا في تلك الاصقاع . وهذا الرأي على كونهِ اقرب الى العقل مما تقدمهُ فلا يزال بعيدًا لان سائر الدول وخصوصًا انكلترا واليابان يزاحمن الروسية بالمناكب ويدفعنها بالراح ولأَن لها من العداوات التي بجانبها في اوربا ما يطأْمن من مرقب طماحها على الصين ويفسح في اجلها . وذهب قوم الى ان كثرة

احتكاك الاوربيين بالصينيين ليست من مصلحة اوربا في شيء لأن الاوربيين بكثرة تحككهم بالصين يعلمونهم اطوارهم ويحملونهم على علومهم وينهجون بهم مناهجهم في الحضارة رغماً عن انوفهم فكأنما يسلمونهم اسلحتهم ليقاتلوهم بها وانهُ ان استمر الامر على ما هو عليهِ فلا يمضي زمن طويل حتى يتم للصين ما تمَّ لليابان من هذا القبيل فلا يعود لاحد مطمع في بيضتهم لانهم من الكثرة والالتفاف بحيث لو تعلموا ونسقوا جيشهم على الترتيب الاوربيّ لكان لهم فيلق ترجف لمشيتهِ دفَّتا الشرق والغرب وخيف من استئناف دور جنكيز وما ذلك على الايام بعزيز

ويقول بعض السياح الذين داخلوا الصين وعاشروا اهلها ورأوا ذلك الشعب المتموّج تموّج الباسيفيك مثل ريشتوفن وارمان دافيد وفازيليف ان اختلاط الصينيين بالاوربيين والاميركيين لا يغير احوال الصينيين فقط بل يؤَثر في هؤُلاء ايضاً لأن الماء والخمر اذا امتزجا تغير لونهما معاً ومن رأى الصينيين في بلادهم وعلم انهم نحو نصف مليار من النسَم على مشرب واحد ومن اصل واحد عرف ما يعترض الاوربيين من الصعوبة في استغراق هذا الجنس لا بل تأكد لديهِ انهم اذا ولجوا ثغر تلك البلاد قصروا عن سدها وانهم مهما اجتمعوا حولها فلا مندوحة لهم في الآخر ان يتصدعوا عنها . ومنهم من رأى الأبلغ في نصح اوربا ابقاء الصين في وحدتها معزولةً عن الناس ومعزولاً عنها الناس تأميناً لمستقبل اوربا وكفاً للشرق عن الغرب وهؤُلاء هم الذاهبون الى ان الصين المتعلمة تندفق على سائر البلاد فلا يقف احد في وجهها

والبعض يهنئ اوربا بعكوف الصينيين على الافيون الذي يخبل العقل ويُذهب الفكر وفاسيليف يبالغ فيقول لولا الافيون لغزت الصين العالم بأسرهِ وخنقت اوربا واميركا بانبساطها عليهما وكثيرون من الافرنج يرددون ذكر "الخطر الاصفر" يعنون بهِ الخوف من غوائل الصين المستقبلة اذا اخذت بمبادئ التمدن الغربي وانها تصلي اوربا حرباً اقتصادية لا يكفيها بها احد

وعندي ان الصين وان كانت لقمة لا تسوغ بسهولة في مزدرد اوربا لكثرة عدد اهلها ووحدة جنسهم وامتلاء بلادهم فانها نعامة شائلة ودولة زائلة الاَّ اذا حذت حذو اليابان واقتدت مثلها باوربا فان اليابان لم تأمن على استقبالها ولم تدخل في صف الدول العظام ولم تحسّ بقوةٍ تناهض بها روسية في الشرق الاقصى ولم يصر الواحد من اهلها كفوء العشرة والخمسة عشر من اهل الصين الاَّ بصولة التمدُّن الغربيّ وفضل العلوم الحديثة فالصين تدرَّئ من وراء كثرتها ووحدة جنسها وبعد مزارها ما شاءت ان تدرَّئ ولكن لا بد ان تنجلي غيابة

السحر في الآخر ويرتع السيف في رقاب الصينيين ان لم يتنبهوا من غفلتهم ويثيبوا من ضجعتهم فانهُ لا يكثر كثير مع الجهل ولا يقلّ قليل مع العلم ومستقبل الصين موقوف على تعلمها والله وحدهُ علاّم الغيوب

شكيب ارسلان

الحول وعلاجهُ

علمت بالمراقبة ان الحول نادر في اهالي أُوربا فقد يقيم الغريب المراقب بينهم حولاً ولا يرى احول . والسبب في ذلك ليس اختلاف الاقليم فالحوَل ليس من امراض العين التي يحدثها اشتداد الحر وتصاعد العثير وعدم الاعتناء بنظافة الاجسام الى غير ذلك من المسببات المتوفرة في المناطق الحارة وانما الحوَل مرض ينشأُ عن ضعفٍ خفيٍّ في النظر كما سنذكر ذلك وليس للاقليم الحار شأن في حدوثهِ . ولكنَّ السبب في قلة الحوَل في الغرب وكثرتهِم في الشرق هو ان الصبي الغربي الاحول يذهب بهِ ذووهُ الى اطباء العين فتستعمل لهُ الطّرق لتقويم نظرهِ المعوج واذا اهمل اهلهُ امرَهُ لا يلبث ان يشبَّ ويدركَ حتى يهرول الى رمديٍّ يشفيهِ من دائهِ . وذلك بخلاف ما يرى في الشرق حيث الاحول لا يهتم بامرهِ اهلهُ اذا كان قاصراً ومن شب وكبرَ ورأَى حولهُ الحول كثيرين لا يكترث للامر بل يرضخ صاغراً راضياً بدائهِ مستسلماً لحكم القضاء والقدر فيعيش احول ويموت احول

وكان يلتمس لاهل الشرق عذر في ما مضى لانهُ لم يكن بين ظهرانيهم العدد الكافي من اطباء العين واما الآن فما عذرهم وقد كثر الاطباء حتى لم تعد تدخل بلداً كبيراً من بلاد المشرق الاَّ وجدت فيهِ واحداً منهم

والغرض من مقالتي هذه هو اولاً ان اتكلم موجزاً عن هذا الداء وطرق علاجه ليعلم القراء انهُ داء يمكن احياناً كثيرة ازالتهُ منذ الصغر باستعمال الطرق التي ساذكرها وبانهُ ان لم تنجح هذه الطرق يمكن تقويم العين الحولاء بعملية جراحية قلما تخيب

ثانياً لاورد لزملائي الاطباء وعلى الخصوص المنقطعين منهم لامراض العين ما قالهُ العلامة باناس الرمدي الشهير في خطابٍ القاهُ اخيراً في مستشفى اوتيل ديو عن طريقتهِ الحديثة في عملية الحول لعلهم يستصوبونها مثلي ويتبعونها ولعلي بذلك افيد الطبيب والمتطبب

ما هو الحول : الحول حالة مرضية لا يمكن معها اتجاه العينين الى الشيء المحول اليهِ النظر

متى يظهر : لا يظهر هذا الداء غالباً قبل السنة الثانية من العمر غير ان بعض العالمين

بامراض العين المدققين ولا سيما الاستاذ باناس يقولون ان الطفل يولد احياناً احول وينسبون هذا الحوَل الى ضغط الدماغ بجفوت التوليد عند تعذُّر الولادة والى اسباب أُخرى لا تهمنا معرفتها

انواعهُ — يكون الحول اما مفرداً اي ان احدى العينين تكون طبيعية والاخرى منحرفة . واما مزدوجاً اي ان العينين تكونان منحرفتين . فاذا كانت العين الحولاء متجهة نحو الانف يُدعى الحوَل متقارباً واذا كان اتجاهها الى الجهة الصدغية يدعى الحول متباعداً . ويدعى علويًّا اذا كانت العين متجهة الى الاعلى وسفليًّا اذا كانت متجهة الى اسفل

وقد يتنوع الحول الى اكثر من ذلك كأن تكون احدى العينين منحرفةً الى اليمين والاخرى الى الشمال وهذا نادرٌ او ان تكون العين الواحدة مرتفعةً والاخرى منخفضة وهو ما يقال لهُ الحول المخيف لما يعتوِر الخلقة من قبح المنظر وهذا نادرٌ ايضاً. واكثر الحول حدوثاً هو الحول المتقارب ثم يليهِ المتباعد

كيف يرى الاحول : اذا قلتَ لمصابٍ بحولٍ مفردٍ متقاربٍ مثلاً ان يوجه نظرهُ الى شيء ما وتأملتَ عينيهِ وهو شاخص الى ذلك الشيء وجدت ان العين المستقيمة متجهة نحوهُ والعين المنحرفة مائلة عنهُ الى جهة الانف ثم اذا وضعتَ امام العين المستقيمة كفَّكَ او حجاباً آخر يحول بينها وبين الشيء المنظور وقلت للاحول ان لا يحوّل نظرهُ عن ذلك الشيء رأيت ان العين الحولاء قد استقامت واتجهت نحو الشيء المنظور واذا راقبتَ في الوقت نفسهِ العين المستقيمة وراء الحجاب وجدتها قد انحرفت الى الداخل وصارت حولاء مثلما كانت اختها قبل وضع الحجاب

فهذا الامتحان يثبت لنا امرين مهمين

اولهما : ان انحراف العين في الحول لا ينتج عن شلل عضلي كما كان يزعم الاولون لانهُ لو كان انحِراف المقلة الى الداخل في الحول المتقارب مثلاً ناتجاً عن شلل العضلة المستقيمة الانسية للعين لما كان يستقيم ذلك الانحِراف عند وضع الحجاب امام العين السليمة كما رأيت

وثانيهما : ان الحول وان كان يظن في الغالب مفرداً اي ان احدى العينين تكون مستقيمة والاخرى منحرفةً فهو في الحقيقة مزدوجاً على الدوام غير ان العين الحولاء او التي تظن وحدها حولاء تكون دائماً اضعف نظراً من التي تظن مستقيمة ولذلك يتحول اليها كل الانحراف . واقوى شاهد على ان الحول مزدوج وان كان يظهر غالباً مفرداً هو ان هذا الداء يتنقل في الاطفال من عين الى اخرى ولا يثبت الانحراف في عينٍ واحدةٍ الاَّ متى ادرك الطفل سن

الصبا وتحقق ان احدى عينيهِ احدُّ نظرًا من الثانية فيعتمد عليها في النظر ويهمل الاخرى فيحول اليها كل الانحراف

قياس الحوَل : لقياس درجة انحراف العين في الحول طُرق شتى احسنها وابسطها الطريقة الآتية وهي

يوضع امام الاحول شيءٌ على بعد ثلاثة امتار او اربعة ويكلَّف بالنظر اليهِ . وعند ما يشخص الاحول الى الشيء الموضوع امامهُ يُعلَّم على حافة الجفن السفلي من عينهِ الحولاء بنقطة حبر اسود عند منتهي حد القرنية الوحشي . ثم يوضع امام العين السليمة حجابٌ ويكلَّف بان لا يحوّل نظرهُ عن الشيء الموضوع امامهُ . فللحال تستقيم العين الحولاء التي كانت منحرفة وتتجه نحو الشيء الناظر اليهِ الاحول وعندئذٍ يُعلَّم بنقطة حبر اسود ثانية عند حد القرنية فتكون المسافة بين النقطة الاولى والنقطة الثانية هي قياس الانحراف الحَوَلي الاصلي

وعند ما تستقيم العين التي كانت منحرفةً تنحرف العين الاخرى وراء الحجاب ويكون انحرافها مثل انحراف الاولى فتوضع نقطة حبر ثانية على جفنها السفلي عند آخر القرنية قبل الانحراف وبعدهُ فتكون المسافة بين النقطة الاولى والثانية درجة الانحراف الحَوَلي الثانوي وهي تعادل تمامًا درجة الانحراف الاصلي

وقد تختلف درجة الانحراف من مليمتر الى ثلاثة فاكثر

اسباب الحول : كان المتقدمون يتوهمون ان انحراف العين في الحول ناتجٌ إما عن قصرٍ في عضلة العين المتجه نحوها الانحراف وإمَّا عن شللٍ في العضلة المقابلة لذلك الانحراف . وقد اثبتت بالبرهان فيما تقدم فساد هذا المذهب . وما زال هذا معتقد الاطباء الاقدمين حتى جاء العلامة دوندرس Donders واثبت بعد طويل البحث والاختبار ان الحول ناتج عن ضعفٍ خلقي في البصر وان اكثر المصابين بالحول المتباعد قصار البصر واكثر المصابين بالحول المتقارب طوال البصر

ولتأييد مذهب دوندرس تعليل طويل لا محل لايرادهِ هنا . وهذا المذهب وان يكن فيهِ شيءٌ كثير من الصحة فهو غير مضطرد فقد شوهد حُولٌ كثيرون وليس بهم ضعف في البصر وآخرون مصابون بحوَل متقارب وهم مع ذلك قصار البصر خلافًا لقاعدة مذهب دوندرس

ثم جاء العلاَّمة بارينو بعد دوندرس وذهب الى ان سبب الحول ضعفٌ في مركز تطبيق البصر من الدماغ وليس في مركز العصب البصري نفسهِ ولتأييد مذهبهِ قال وفي قولهِ شيء من الصحة : ان اغلب المصابين بالحول مصابون باضطرابات عصبية : وهو القائل ايضًا " اني اخاف

طباع الاحول كما اخاف طباع الافعي "

والمرجح الآن عند المدققين من اطباء العين انهُ لا بدَّ لتعليل حدوث الحول من الجمع بين مذهب دوندرس ومذهب بارمينو اي ان ضعف مركز تطبيق البصر في الدماغ يهيء السبيل للداء وان ضعف البصر يجلبهُ والله اعلم

علاج الحول : لعلاج الحول طريقتان احداهما تمرينية و يقال لها ايضاً الطريقة الطبيعيةَّ والثانية الطريقة الجراحية

فالطريقة الاولى تستعمل للاحداث حتى السنة العاشرة واليك شرحها

يبحثُ اولاً عن عين الصبي المنحرفة بالاوفتالموسكوب فاذا كان بها طول البصر وهو الغالب في الحول المتقارب يلزم استعمال العدسيات المحدبة وتختلف نمرة العدسية التي توضع على العين المنحرفة باختلاف درجة طول البصر في تلك العين . واذا كانت العين المنحرفة مصابة بقصر البصر (الحسر) وذلك يكثر في الحول المتباعد يلزم استعمال العدسيات المقعَّرة التي توافق درجتها من التقعير درجة ما في العين من قصر البصر اما قسم العوينات المقابل للعين المستقيمة فيوضع فيهِ قطعة من الزجاج الابيض غير الشفاف يبطل عمل هذه العين . ومعلوم انهُ لا يمكن استعمال العوينات للاحداث الاَّ متى صاروا على شيءٍ من الادراك والتعقل وصار يمكن اقناعهم بضرورة استعمال العوينات والمثابرة عليهِ حتى لا ينزعوها اذا ضاقت منها اخلاقهم. فاذا تعذَّر استعمال العوينات يلزم استعمال الاتروبين Atropine وذلك ان يُقطر في العين المستقيمة من محلول هذا الجوهر بنسبة ١٠٠/١ مرات متوالية حتى تتمدد حدقة هذه العين و يكف بصرها فيكف عن استعمال الاتروبين واذ ذاك يلتزم المصاب ان يستعين على النظر بعينهِ المنحرفة رغماً عنهُ . و يبقى فعل الاتروبين في العين مدة ٦ او ٧ ايام فمتى انقضت هذه المدة بعد استعمالهِ واخذت قوة البصر تعاود العين المستقيمة يوضع فيها من محلول الاتروبين مرة ثانية ثم بعد اسبوع مرة ثالثة وهكذا حتى ينقضي سنة كاملةٌ وفي بحر هذه السنة تأخذ العين المنحرفة بالاستقامة شيئاً فشيئاً حتى تعادل اختها . وقد اشار بعضهم الى استبدال الاتروبين بعصبة تربط بها العين المستقيمة ليبطل عملها غير ان الصغار لا يبقون هذا الحجاب على عينهم السليمة لضيق خلقهم فكلما سنحت لهم الفُرص ولم يردعهم رقيبٌ ينزعونهُ عنها . ولذا يفضل الرمديون طريقة الاتروبين على هذه الطريقة

الطريقة الجراحية : واذا ادرك الصبي الاحول السنة الحادية عشرة ولم تستقم عينهُ المنحرفة سواءٌ استعملت لها الوسائط المذكورة آنفاً او لم تستعمل فلا بدَّ من الاستعانة بالمشرط لتقويم

اعوجاجها لأَن الوسائط التمرينية قلما تنجح بعد هذا السنة وعلي الخصوص اذا كان الحول متباعدًا لان هذا النوع مستعصٍ ولا يزول الاَّ بالوسائط الجراحية

وتختلف طُرق العملية الجراحية باختلاف حالة الحول من حيث الاتجاه والشدة وسن المريض واليك مجمل ما اشار اليهِ الاستاذ باناس في خطابٍ القاهُ اخيرًا في مستشفى اوتيل ديو عن تنوع الطرق الجراحية في علاج الحول قال

اولاً : اذا كان الحول متقاربًا والانحراف خفيفًا يكفي لتقويم الانحراف إمَّا قطع وتر العضلة المستقيمة الانسية او تقديم نقطة ارتكان العضلة المستقيمة الوحشية

ثانيًا : اذا كان الحول متباعدًا والانحراف خفيفًا يكفي لتقويم الانحراف امَّا قطع وتر العضلة المستقيمة الوحشية او تقديم نقطة ارتكاز العضلة المستقيمة الانسية

ثالثًا : اذا كان الحوَل متقاربًا والانحراف شديدًا يلزم قطع وتر العضلة الانسية وتقديم نقطة ارتكاز العضلة الوحشية

رابعًا : والعكس بالعكس اذا كان الحوَل متباعدًا والانحراف قويًّا اي انهُ يلزم قطع وتر العضلة الوحشية وتقديم نقطة ارتكاز العضلة الانسية

خامسًا واخيرًا : اذا كان الحوَل مفردًا وقويًّا جدًّا وذلك يكثر عند المتقدمين في السن لا يستقيم الانحراف الاَّ اذا عملت عملية القطع والتقديم للعينين معًا كأَن كلتيهما منحرفتان وليس للعين المنحرفة فقط

ثم اردف الاستاذ باناس قائلاً : " وما زال بعض الرمديين يزعم حتى يومنا هذا ان الحول لا يزول دائمًا بالعملية الجراحية لاسيما اذا كان الانحراف شديدًا والاحول كبير السن . وهذا زعم فاسد والذي حملهم عليهِ هو ان بعضهم يكتفي بقطع وتر العضلة المتجه نحوها الانحراف ويكتفي البعض الآخر بتقديم نقطة ارتكاز العضلة المقابلة للانحراف سواء كان الحوَل شديدًا او خفيفًا او كان الاحول صغيرًا او كبيرًا وقلَّ منهم من يفطن الى الجمع بين القطع والتقديم متى كان الحوَل شديدًا ولذلك لا ينجحون دائمًا

اما انا فبطريقة القطع من جهة والتقديم من الجهة المقابلة يمكنني ان اقوّم كل حولٍ مهما كانت درجة الانحراف شديدة واذا كان الاحول مسنًّا وحوَلهُ مستعصيًا ولم تنجح فيهِ عملية القطع والتقديم للمرة الاولى اكرر نفس العملية مثنى وثلاث ورباع حتى يستقيم الانحراف تمامًا فاذا كنتم تعرفون احولَ عمرهُ مائة سنة وبمقلتيهِ انحرافٌ لا يُرى معهُ شيءٌ من القرنية فأْتوني بهِ وانا اتعهد لكم بشفائهِ "

باريس الدكتور ابرهيم شدودي

امبراطورة فردرك

لم يحل الحول على وفاة فكتوريا ملكة الانكليز وامبراطورة الهند حتى جُرّعت ابنتها فكتوريا زوجة الامبراطور فردرك الالماني وام الامبراطور غليوم امبراطور المانيا الحالي كاس المنون وهي في الحادية والستين من عمرها بداء اليم قضى بهِ زوجها من قبلها وهو داء السرطان الخبيث ولم تجدِ عزَّة الملْك ورفعة الشأن ومهارة الاطباء فتيلاً

وُلدت الفقيدة في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٤٠ وبدت عليها مخايل النجابة وهي طفلة فكانت تتكلَّم الانكليزية والفرنسوية وهي في الثالثة من عمرها واستظهرت بعضاً من اشعار لامرتين الشاعر الفرنسوي وهي في ذلك السن وكانت تستشهد بها احياناً وهذا من الغرائب التي لا تكاد تصدَّق لو لم يشهد بهِ ابوها . قال

انها خرجت مرةً راكبةً فلما رأت الحقول مبسوطةً امامها والغنم والبقر سائمة فيها قالت Voila le tableau qui se déroule à mes pied ! اي « يا لها من صورة تنتشر امامي . لكن هذا الذكاء المفرط لم يحملها على العُجْب بنفسها فبقيت وهي في سن الصبوة كغيرها من الصبايا لا تظهر الامتياز عليهنَّ ولما كبرت وطالعت الكتب الكثيرة واتَّسع نطاق معارفها ولقيت من العلماء والفهماء اكثر ممَّن لقيت امرأة اخرى غيرها في عصرها لم يبدُ عليها شيءٌ من الدعوى والغرور لا في سلوكها ولا في حديثها مع انها قرأت اعوص العلوم وشاركت اباها فيها قبل زواجها واظهرت من البراعة ما دعا الى القول بانها من نوابغ العصر

ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها اتى ابن ولي عهد بروسيا خاطبًا لها برضى ابيها وامها وكان من اجمل الشبان طلعةً واكملهم آدابًا فلما رأتهُ وقع في نفسها كما وقعت في نفسهِ وقرَّ القرار على ان يقترن بها حينما تبلغ السابعة عشرة من عمرها

واحتُفل بهذا الاقتران في الخامس والعشرين من يناير سنة ١٨٥٨ واعطاها البارلمنت الانكليزي اربعين الف جنيه صداقًا وقطع لها اربعة آلاف جنيه في السنة . فاعرب بذلك عن رضى الامَّة الانكليزية بهذا الاقتران . وقد ظنَّ البعض انها تترك اميالها الوطنية وتبدلها بما يخالفها لكن دلَّت الايام على انها لم تفعل ذلك بل بقي حبها لوطنها وللحكومة الدستورية متغلبًا عليها حتى لم تكن تحجم عن المجاهرة بهِ ولو شدَّد اللوم عليها ساسة برلين

ولم تكد قدمها تطأُ البلاد الالمانية حتى رأى فيها اقارب زوجها ما يدعو الى حبها واكرامها فكتب زوجها الى ابويها يقول « ان زوجتي سحرت العائلة المالكة كلها » وكتب لورد كلرندون وزير الخارجية حينئذٍ « انها كانت تسبي الجميع بلطفٍ يظهر انهُ عنوان عقل راجح وادب رائع يعصمانها من الخطإِ في اقوالها وافعالها »

ولما استقرَّ بها المقام في بيتها الجديد عادت الى اشغالها العادية القراءة والكتابة والرسم والتصوير والنقش . وكانت تقرأُ في مختلف الكتب من الفلسفة الى الروايات لكن اكثر اشتغالها كان بالمواضيع العويصة كالاقتصاد السياسي والفلسفة السياسية . ولم

يمضِ عليها شهران حتى اخذت تترجم رسالة من الالمانية الى الانكليزية لخَّص فيها موءلفها تاريخ المانيا وابان انها ستصير من اعظم الدول الاوربية سطوةً اذا جرت على خطة حربيَّة معلومة. وبعد قليل اخذت تبحث في مسألة اخرى من معضلات المسائل وهي هل يجوز لفريق من الناس ان يعقد محالفة مع البابا ولو على غير رضى الدولة التي هو تابع لها . وذهبت الى انهُ لابدَّ من وضع حد يفصل بين سلطة الدولة وسلطة الكنيسة . ثم التفتت الى مسألة اعوص من هذه وهي واجبات الوزراء في الحكومة الدستورية وانشأت رسالة في هذا الموضوع وكان عمرها عشرين سنة

لكن اشتغالها بهذه المواضيع السامية لم يصرفها عن تدبير بيتها والاهتمام بشؤُونهِ فانهُ يظهر من مكاتيبها انها كانت تبذل جهدها لتجعل نفقات بيتها اقل من دخلها ودخل زوجها لكي يتوفر عندهما في آخر كل سنة ما يبقى عونًا لهما وقت الحاجة . ولم يحُل الحول عليها متزوجةً حتى رُزقت ولدًا وهو امبراطور المانيا الحالي ولدتهُ في ٢٧ يناير سنة ١٨٥٩ وتعسَّرت ولادتها بهِ حتى كاد يقضى عليها . وبقيت مع كل اشتغالها واهتمامها من اودع النساء واكثرهنَّ بهجةً

وسنة ١٨٦١ توفي فردرك وليم الرابع ملك بروسيا وخلفهُ حموها وليم الاول على سرير الملك وصار زوجها وليَّ العهد وكانت آراؤُها السياسية مخالفة لآراء كثيرين من ساسة بروسيا ومطالبها العامية والاجتماعية فوق ما يستصوبهُ رجال بروسيا في ذلك العهد بل كان البعض ينكرون عليها اهتمامها ببعض الاعمال الخيرية لان حالة المرأة في بروسيا كحالتها في الشرق متأخرة جدًّا عمَّا هي عليهِ في انكلترا واميركا

وكان يُنقم عليها اكرامُها لرجال العلم كأن ذلك لا يليق بمقام اميرة رفيعة الشان مثلها . ظُنَّ انها تميل بزوجها عمَّا جرى عليهِ ملوك بروسيا من الاستبداد الى الآراء الدستورية الشوروية الجارية في بلاد الانكليز . وكان هذا الظن في محلهِ لان سلطتها على زوجها كانت شديدة وكان هو ميَّالاً الى الآراء الدستورية بالطبع . وتناظرت الجرائد الانكليزية والالمانية في هذا الموضوع فزادت المسألة اشكالاً واوقعت الاميرة في مركز حرج جدًّا ولاسيما بعد ان ابدى حموها الملك رغبتهُ عن الحكومة الدستورية

وزادت سطوة بسمارك في ديوانهِ

وكان بسمارك يكرهُ الانكليز كرهاً شديداً ويتهمها بتفضيل المصلحة الانكليزية على المصلحة الالمانية وبقي مصرًّا على هذه التهمة بعد ان صار زوجها امبراطور المانيا وصارت هي امبراطورتها . وقد قال في صدد ذلك « ان الامبراطورة الجديدة انكليزية وهي واسطة للنفوذ الانكليزي وللمصالح الانكليزية عندنا ... والانكليز يحسبوننا شعباً منحطًّا مخلوقاً لخدمتهم هذا هو رأي ملكتهم فينا وابنتها مثلها من هذا القبيل

ومن الغريب ان ذوي الاحقاد من الانكليز كانوا يتهّمون العائلة الانكليزية المالكة هذه التهمة عينها فيقولون انها المانية وتروّج المصالح الالمانية فانقلبت التهمة الآن الى ضدها

ونجح بسمارك في سياستهِ المعروفة بسياسة الدم والحديد وفاز بقهر بعض الممالك الالمانية رغماً عن الفقيدة وباطلاق القنابل على مدينة باريس غير مكترث لتوسلاتها ودموعها ولكن نجاحهُ دمث اخلاقهُ كما محا ذنوبهُ من عيون الامة الالمانية فزال من نفسهِ ما كان يراهُ من الموجدة عليها . قال بعد حين وقد سئل عنها « انها كانت لا تطيق النظر اليَّ اما الآن فقد تغيَّر ذلك. طلبت مني مرَّةً شربة ماءٍ فلما اتيتها بكاس الماءِ نظرت الى سيدةٍ كانت جالسة معها وقالت لها عني ‹ لقد اراق دموعاً من عينيَّ اكثر من ملءِ هذه الكاس › ولكن ذلك مضى وانقضى »

واصيب زوجها بداءِ السرطان في حنجرتهِ وآلام هذا الداءِ شديدة لا تطاق فتحملها بالصبر الجميل وكانت هي تمرّضهُ بنفسها كالام الحنون . ثم توفي ابوهُ فخلفهُ على سرير الامبراطورية الالمانية وقام باعباءِ الملك على ما بهِ من الداءِ الاليم ووعد امتهُ ان يبذل الايام الباقية من عمرهِ في ما يرقي شأنها ادبياً ومادياً لكن تلك الايام كانت قليلة تسعة وتسعين يوماً قضى بعدها مأسوفاً عليهِ مبكياً من امتهِ ومن كل من يتمنى للناس ملوكاً عادلين وخلفهُ ابنهُ وابنها وليم الثاني الامبراطور الحالي

وكان بسمارك قد بذل جهدهُ لكي لا يسير الابن في خطة ابيهِ فنجح وعادت الام الارملة الى سكب الدموع وبث الشجا ولكن لم يمضِ على الامبراطور سنتان حتى رمى

بسمارك عن حالق فعاد يتوسَّل الى الامبراطورة لكي تشفع بهِ لدى ابنها فقالت لهُ انكَ لم تبقِ لي كلمة مسموعةً عند ابني فصرت عاجزةً عن الشفاعة فيك

وكانت بهجة برلين قد صارت مضاضةً في عينيها فهجرتها وابتنت لها داراً قرب فرنكفرت اقامت فيها بقية ايامها . ولما دالت دولة بسمارك عاد ابنها الى تذكار فضائل ابيهِ وكان يكاد ينساها ويقتصر على ذكرى جدهِ ووثقت ربط الحب بين الولد والوالدة من جديد

ثم ظهر فيها داء السرطان كما ظهر في زوجها فاكثر ابنها من الترداد عليها حتى اذا قضى الواجب عليهِ نحو رفات جدتهِ وعاد من البلاد الانكليزية اسرع الى جانب سريرها يمسح دموعها ويخفف آلامها وبقيت هي الى آخر ايامها تهتم بالمسائل العمومية وتبذل جهدها في ما يخفف آلام الناس ويزيل مضض الفقر والبأساء وتصبر على الآلام صبر الاشداء حتى لم يكن يُظن ان الداء يتغلب عليها قريباً . لكن نفذ سهم القضاء وفاضت روحها في الخامس من اوغسطس الماضي

باب تدبير المنزل

نزهة الاطفال

اذا كان الفصل صيفاً وجب الخروج بالطفل الى النزهة حالما يصير عمرهُ ثلاثة اسابيع او اربعة وفي القطر المصري يمكن الخروج بهِ ايضاً في الربيع والخريف وهو في هذا السن وفي الشتاء بعد الاسبوع الخامس او السادس . والطفل كالنبات يحتاج الى الهواء والنور لكي ينمو ويقوى ويحسن منظرهُ . فاذا حجزت النور والهواء النقي عن نبات ضعف وذبل وهكذا يضعف الاطفال ويذبلون اذا قاموا في بيوت رطبة مظلمة لا يتجدَّد هواؤُها ولا تدخلها اشعَّة الشمس

ذكرت احدى السيدات المهتمات بتربية الاطفال ان طفلاً اريد حجبهُ عن الانظار لسبب من الاسباب فربي في غرفة مظلمة حيث لا يرى الشمس ولا يرى احداً الاَّ الذين

يطعمونهُ وكانوا يحسنون معاملتهُ من حيث طعامهُ وشرابهُ ولباسهُ لكنهُ نشأ ابله لا يدرك شيئًا . والنور الكثير لازم لبث البهجة والحبور في نفوس الاطفال ولا يعنى بذلك ان يقيموا في الشمس حتى يصيبهم الصداع كلاَّ بل لا بدَّ من ان يوقوا من اشعتها ولا سيما في فصل الصيف وفي ايام الحر

ولا يجوز حمل الطفل منتصبًا قبلما يصير عمرهُ ستة اشهر على الاقل واما قبل ذلك فيحمل على اليدين مستلقيًا حتى كأَنهُ نائم في سريره وينقل من يد الى اخرى لكي لا تتعب التي تحملهُ . ولا يجوز لها ان تضغط عليهِ كثيرًا وهي تضمهُ الى صدرها لانَّ عظامهُ لينة فتتأثر من الضغط

"اعتنِ بالصحة ولا تبالِ بالحياة"

معربة بتصرف عن قصيدة انكليزية للسر الفرد يوَر

للجسم من دونِ امترا جِلْدَانِ بادٍ وآخرُ داخلَ الانسانِ
هذا ظهارتهُ وذاك بطانةٌ من داخلٍ في غايةِ الإتقانِ
وكلاهما عند الحقيقة واحدٌ فالاولُ البادي نظير الثاني
فالمنخرانِ وداخل الفكَّينِ والـ حلقوم حتى داخل الجثمانِ
هذي مبطَّنة بما يولي الورى عجبًا بحكمة خالقِ الاكوانِ
امَّا الغشاءُ الخارجيُّ فمفرزٌ عرقًا يسيلُ بفضلةِ الأَبدانِ
والداخليُّ من الغذا يمتصُّ ما يعتاضُ فيهِ عن المُبادِ الفاني
لكنَّ آفتَهُ ومبعث منعهِ عن فعلهِ إِدمانُ بنتِ الحانِ
والخارجيُّ يكفُّ عن إِفرازهِ إِن لم تُطَهِّرْهُ من الادرانِ
فليحرصِ المرءُ اللبيب عليهما ما دام امرُ الحرصِ في الإِمكانِ
فالخارجيُّ الماءُ والصابونُ في تنظيفهِ للكل مبذولانِ
والداخليُّ اذا جرى فيهِ سوى ماءٍ فانت عليهِ حقًّا جانِ
ايضًا عليهِ الاعتنا بثلثةٍ ليكونَ طولَ العمرِ في اطمئنانِ
بطعامهِ وبمائهِ وهوائهِ هذي المهمة فيهِ للبنيانِ
اما الطعام فكلُّ سهلٍ هضمهُ وغذاؤُهُ وافٍ بلا نقصانِ

لكن عديم النضج منهُ وكل ما   هو فاسدٌ فانبذهُ دون توانِ
والماء فاطلبهُ صحيحاً طاهراً   عذباً نقياً ساغ للعطشانِ
واذا اشتبهتَ بهِ فحاذر عرضهُ   من دونِ ترشيحٍ على ظمآنِ
الا فسخنهُ فما فيهِ من آل   شيء المضرِ يموتُ بالغليانِ
واحذر من استنشاقِ أنفاسِ الورى،   فالسمُّ فيها ناقع وعياني
واجعل بمخدعك الهواء على المدى   حرًّا طليقاً دائم الخطرانِ
هذي مبادئ إن تلاحَظْ كلُّها   لا خوف من وباءٍ ولا حدثانِ
ولمن يراعيها على طول المدى   جلدانِ في طول البقا سيَّانِ

اسعد داغر

اسهال الاطفال

من كتاب صحة الاطفال والاحداث للدكتور جريديني وهو تحت الطبع

النوع الثالث الاسهال البطيء ويقال لهُ ايضاً اسهال الصيف يحدث من فساد اللبن في زمن الحرّ الشديد للاسباب التي سبق ذكرها في النوع الثاني من الاسهال . وقد يأتي على اثر الاسهال الحاد (كوليرا الاطفال) اذا عاد العليل الى التغذية من الثدي ولا سيما من زجاجة الرضاع قبل بلوغهِ تمام الشفاء

الاعراض — قيء ضعيف يشتدُّ على اثر الطعام والشراب وذرب قليل في اول هجوم العلة ثم يزيد ويخالطهُ مخاط كثير وموادّ دهنية وفضلات من الطعام غير منهضمة . وفي اول الامر يكون الغائط اصفر اللون او اسمرهُ ثم يتحول سريعاً الى اخضر او اصفر ضارب الى الخضرة . وفي اثناء العلة يتطبّل البطن كثيراً ويتسلخ الجلد حول المعقدة والفخذين ويكتسي اللسان فروة بيضاء وترتفع حرارة الجسم الى درجة ١٠٢ او ١٠٣ بميزان فهرنهيت . ويفقد العليل شهوة الطعام فيضعف ويهزل وبسبب الضعف الزايد تنحط قواهُ ويصاب بامراض الصدر والكليتين وهي كثيرة في الاسهال البطيء وعاقبتها الموت

ويمتاز الاسهال البطيء عن الاسهال الحاد (كولرا الاطفال) ببطء اعراضهِ واعتدال الحمى وخلو البراز من الماء الكثير وقد يلتبس بانسداد الامعاء فيتميز عنهُ بخلو القيء من المواد البرازية وفَقْد الزحير والالم الشديد

العلاج — يمنع العليل عن اللبن ويغذَّى بمرق اللحم وماء زلال البيض يتناولهُ في اوقات

معينة بينها نحو ثلاث ساعات او اربع ولا يعود الى التغذية باللبن ما لم ينقطع القيء تماماً ويرجع لون البراز الى اصلهِ وفي اثناء ظهور الهجوم يحمم بالماء الفاتر مرةً في اليوم وتغسل مقعدتهُ بعد كل براز بالماء الصرف واذا كان العليل من سكان المدن الحارَّة ينقل الى القرى والحقول في الجبال او السهول النقية الهواء والماء

ومما يفيد جدًّا شرب الماء مرشحاً او مطهَّراً بغليانهِ على النار يسقى منهُ مراراً في اليوم كميات قليلة ويضاف اليهِ نحو نصف ملعقة صغيرة او اكثر من الكونياك او الوسكي فينبه القوى ويخفف الذرب . وفي بدء العلة يعطى مسهلاً من زيت الخروع لتنظيف امعائهِ من المواد الحريفة التي تسبب الاسهال وفي طور النقاهة وهو زمن زوال الاعراض يعطى زيت السمك لتقوية جسمهِ وقد لا تهضمهُ معدتهُ لضعفها فيفرك بهِ بدنهُ حتى يدخل الزيت الى الدم بواسطة مسام الجلد

النوع الرابع الاسهال الالتهابي وهو التهاب خفيف في الامعاء من اعراضهِ حمًّى قليلة وقيء خفيف وبراز مخاطي مائع قليل الكمية وفي بعض الاحيان تلتبس اعراضهُ باعراض الاسهال البطيء فيصعب التمييز بينهما بدون مساعدة الطبيب

واذا اشتدت الاعراض فيقال للعلة عندئذٍ دوسنطاريا وفيها يكون البراز قليل الكمية كثير المخاط والدماء ومصحوباً بزحير يلاشي القوى فيشعر العليل في اثناء ذلك بشيء في المستقيم لم يدفع بعد

العلاج — يداوى هذا المرض على الطريقة التي سبق ذكرها في انواع الاسهال وعلى الام ان تحفظ للطبيب شيئاً من البراز حتى يسهل عليهِ تشخيص العلة

باب المراسلة والمناظرة

الوحام والاجنَّة

حضرة منشىء مجلة المقتطف الوضاء

قلتم في جواب المسئلة السابقة المدرجة في الجزء الرابع من السنة العشرين عن الوحام "ان المرويات من هذا القبيل كثيرة جدًّا ولكنَّ العلماء لم يثبتوا صحتها حتى الآن لا بالامتحان ولا

بالاستقراء ولا اثبتوا فسادها فيما نعلم . ولكن ما يعرف من نواميس الطبيعة يرجح لنا ان هذه المرويات فاسدة او مبالغ فيها "هذا ولم تظهروا قولاً وافياً يؤيد صحة ما ابديتموهُ ولا حجة دامغة تعزز ما زعمتموهُ بل قلتم (والحقيقي منها يمكن ارجاعهُ الى علل أُخرى) فاي علل تقصدونها وقد اثبت لنا الكتاب ان الوحام قضية مسلمة بشاهد متين لم يقدر ان يقوضهُ علماء الازمنة الغابرة ولا يهدمهُ فطاحل فلاسفة العصور القشيبة التالية وهو انهُ لما اشترط يعقوب على خالهِ لابان ان يأخذ نظير ما يكابدهُ من التعب كل مخطط او ارقط او ابلق يولد من انعامهِ اخذ قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودلب وقشر فيها خطوطاً بيضاً كاشطاً عن البياض الذي على القضبان واوقف القضبان التي قشرها في الاجران في مساقي الماء حيث كانت الغنم تجيء لتشرب فتوحمت الغنم عند رؤية القضبان وولدت مخططات ورقطاً وبلقاً . فهذه رعاكم الله آي الكتاب بل تجربة نبي الله اظهرت لنا جلياً بان الوحام قضية مسلمة الثبوت لا تحتاج لاقامة ادلة بعض العلماء ودعوي لا تقبل فلسفة بعض المتفلسفين الذين طالما قلبوا الاوهام حقائق والحقائق اوهاماً

واخيراً اقترح على قراء المقتطف الافاضل خصوصاً من أُوتوا حكمة وفصل الخطاب ان يسرحوا الطرف ملياً في مسارح هذا الموضوع ويجولوا طرف ذكائهم في ميدانهِ حتى لا يحرمونا من فوائدهِ الجزيلة . وانا موقن ان اقتراحي هذا يلقى اذاناً صاغية ولا تذهب امنيتي ادراج الرياح

[المقتطف] ان ما ذكرناهُ منذ ست سنوات هو ما يقول بهِ جمهور العلماء الآن وما ثبت بالامتحان كما ترون من مقالة وجيزة نشرناها في اوائل هذا الجزء وهي من خطبة رئيس قسم علم الحيوان في مجمع ترقية العلوم البريطاني

اما حادثة يعقوب وخالهِ لابان التي تشيرون اليها فمفسرو التوراة مختلفون فيها وجمهورهم على ان ما ذكر فيها حدث باعجوبة الهيَّة هذا ما صرَّح بهِ علماء البروتستانت في التفاسير التي عندنا وقال بهِ علماء الكاثوليك ايضاً على ما يظهر لنا فقد جاء في حواشي التوراة العربيَّة المطبوعة في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ما نصهُ " انَّما كثرت غنم يعقوب المخططة كثرة خارقة العادة بتوفيق الله وقد صرَّح بذلك يعقوب نفسهُ اذ نسبهُ الى الله قائلاً لراحيل ولية فاخذ الله مال ابيكما واعطانيهِ"

ومع ذلك فامتحان هذا الامر سهل ميسور فعلى مَ لا تمتحنونهُ اذا كنتم راغبين في الوقوف على الحقيقة التي تقنعكم

مدرسة خيريَّة لبنانيَّة

حضرة الدكتورين منشئي مجلة المقتطف الغراء

ان الاعتراف بجميل اهل الفضل والثناء عليهم امران واجبان على كل احد لان من لا يضنُّ بالنفس والنفيس في سبيل النفع العام حريٌّ بالمدح والاكرام . وان كانت مجلاَّتنا الشرقية تنشر فضائل الفضلاء من اهل الغرب وتذكرهم بما هم اهل لهُ من المدح والثناء فاحرِ بها ان تذكر فضائل الفضلاء من اهل الشرق ولا تبخل عليهم بما يستحقونهُ من المدح والاطراء . ولما كانت مجلتكم الزاهرة ام المجلات العلميَّة ومنذ نشأتها للآن تنادي بوجوب التعليم وحث الاغنياء من اهل الشرق على الاخذ بناصر الفقير وتعليمهِ اقتداءً باهل الغرب اتيت اقصُّ عليكم ما اتاهُ حضرة الوجيه الفاضل بولس افندي عازر فانهُ انشأ مدرسة خيرية في غرزوز بلدتهِ يتعلم فيها الصبيان والبنات مجانًا وهو لا يكتفي ببذل المال على تعليمهم مجانًا وكساء المساكين منهم بل تراهُ ساهرًا على راحتهم وبذل الوسائل كلها لفائدتهم وفي كل مجلس يحث الوالدين على تعليم اولادهم ويبين لهم فوائد العلم ومضار الجهل

فعسى ارباب الثروة ان يقتدوا بهذا الرجل الفاضل وينفقوا من سعتهم على تعليم ابناء وطنهم والله لا يضيع اجر من احسن عملاً

غرزوز بلبنان احد المشتركين

* * *

باب التقريظ والانتقاد

تاريخ الامير حيدر

يعلم ابناء سورية عمومًا وابناء لبنان خصوصًا ان للامير حيدر الشهابي تاريخًا مطوَّلاً جمع فيهِ اخبار الايام من لدن ظهور الاسلام الى ان جاء الامير بشير الشهابي والي جبل لبنان الى الديار المصرية . وكان هذا التاريخ يخط ويقرأهُ ابناء لبنان في الكتاتيب والمدارس اجزاء كانهُ من كتب التعليم حتى لقد استظهرنا كثيرًا من فصولهِ وقصائدهِ منذ نعومة اظفارنا وكان اعتماد المؤلف في ذكر الحوادث التي قبل زمانهِ على كثيرين من جلة المؤرخين

كالطبري والمسعودي وابن العبري وابن سباط وتاريخ صاحب صور وتاريخ البيعة للعالم بارونيوس الذي نشأ في القرن السادس عشر ونشر تاريخهُ بين سنة ١٥٨٨ و١٥٩٣ في اثني عشر مجلداً ثم نشر ثانية بين سنة ١٧٣٨ و ١٧٥٩ في ٣٦ مجلداً ولا ندري كيف اطَّلع عليهِ الامير حيدر وهو باللاتية . اما الحوادث التي حدثت في زمانهِ فاعتمد فيها على الخبر وعلى ما يسمَّى الآن بالمحرَّرات الرسمية اي فرمانات التولية والمخاطبات التي كانت تدور بين ولاة الجبل ورجال الدولة فنقلها بالحرف الواحد

وقد رتب التاريخ حسب السنين فذكرها سنة سنةً من السنة الاولى من الهجرة الى حوالي سنة ١٢٣٦ واكتفى اولاً بامهات الحوادث فشغل ثلثي الكتاب بحوادث ١٠٤٠ سنة من سني الهجرة والثلث الاخير بحوادث مئتي سنة . ويبتدئ الاسهاب من حين حكم الامير فخر الدين المعني سنة ٩٩٣ هجرية الى ان دارت الدائرة عليهِ وأُتي بهِ الى الاستانة وجرّع فيها غصص المنون سنة ١٦٣٣ بعد ان حكم البلاد نحو اربعين سنة فَصِّل تاريخها في نحو مئة صفحة. ويزيد هذا الاسهاب في تاريخ الامير بشير الكبير

وهو مثل غيرهِ من التواريخ العربية يقتصر اكثره على ذكر الحروب والدسائس والمظالم وبعض الحوادث الطبيعيَّة كالزلازل والاوبئة والسيول والكسوف والخسوف وقليل من الامور الاجتماعية كمدائح الشعراء للملوك والرؤَساء يقرأهُ المرء من اولهِ الى آخرهِ فلا يعرف منهُ كيف كانت احوال المعيشة وطرق الاكتساب ودرجة المعارف الاَّ ما ذُكر منها عرضاً كأنهُ ليس تاريخ الامم بل تاريخ ملوكهم ورؤَسائهم من حيث هم رجال حرب او سلْم وعدل اوظلْم لكنَّ حوادثهُ متسلسلة مرتبطة بعضها ببعض يطالعها المرء ساعة بعد ساعة ويوماً بعد آخر فلا يكلُّ ولا يملُّ فهو من هذا القبيل كتاب فكاهي كما انهُ كتاب تاريخي

وقد عني بتنقيحهِ وطبعهِ حضرة صديقنا الفاضل الاستاذ نعوم مغبغب بعد ان اضاف اليهِ كثيرًا من الحواشي والشروح واتمَّ تاريخ الامير بشير الشهابي الى حين وفاتهِ سنة ١٨٥١ فجاء الفاً واثنتين وخمسين صفحة كبيرة بقطع المقتطف وحرفهِ حاوية زبدة تواريخ البلاد الشرقية بنوع عام والديار الشامية والسورية بنوع خاص وجبل لبنان بنوع اخص يليق بكل مَن يهتم ببضاعة العلم والادب ان يقتني نسخةً منهُ . وهو يطلب من حضرة ملتزم طبعهِ ومن ادارة المقتطف ومن المكاتب الشهيرة في القاهرة وسنعود الى هذا التاريخ في الجزء التالي

* * *

سبائك التبر في احوال الجبر

بينا نرى كتب الحساب والجبر تطبع في هذا القطر موجزة مختصرة جريًا على ما تطلبهُ نظارة المعارف المصرية نرى هذه الكتب تطبع في سورية مطوَّلة مسهبة حتى لا تبقي حاجة في نفس الطالب . ومن ذلك كتاب نُشر حديثًا في علم الجبر والمقابلة ألَّفهُ حضرة الرياضي الفاضل جبران افندي يوسف لبُّس ونشر منهُ الآن الجزء الاول وهو يبتدئ بمبادئ علم الجبر ويتدرَّج الى حل المسائل التي من الدرجة الاولى فيذكر كل ما يتعلَّق بها ويدخل تحتها من جمع وطرح وضرب وقسمة وترقية وتجذير . وهو واضح الحدود كثير الامثلة حتى ترسخ قواعدهُ في اذهان الطلبة . وحبذا لو جرى فيهِ دائمًا على اصطلاح استاذنا الدكتور ڤان ديك فاننا حينما فتحناهُ لننظر فيهِ وقع نظرنا اولاً على مثال في قسمة الكميات المركبة ونحن نحسب ان المقسوم عليهِ يوضع الى يمين القارئ حيث تبتدئ الكميَّة المقسومة ويبتدأ بطرح الحاصل وكدنا نحسب العمل خطاء لو لم ننتبه الى ان المقسوم عليهِ موضوع الى اليسار. كذلك لو وضع المعادلات البسيطة اي التي من الدرجة الاولى في اوائل الكتاب حيث يستطيع التلميذ فهمها وحلها لكان اقرب الى ترغيبهِ في هذا العلم فقد ثبت لنا بالاختبار مدة تعلُّم الجبر وتعليمهِ ان الشروع في حل المعادلات البسيطة واظهار مزية حلها بالجبر على حلها بالحساب هو اكبر مرغب للتلامذة في درس علم الجبر . وحرف الكتاب واضح جدًّا حتى دلائل القوات والجذور وطبعهُ متقن فعسى اساتذة المدارس ان يعتمدوا عليهِ في تعليم هذا العلم الجليل

تعليم قراءَة الخطوط العربيَّة

للكتابة العربيَّة صور متعددة كما قال جامع هذا الكتاب تختلف باختلاف الاماكن والاصقاع فمنها الخط السوري والمصري والتركي والهمايوني والفارسي والمغربي وكلها لا تضرب على وتيرة واحدة بل منها ما تسهل قراءَتهُ على صغار الطلبة ومنها ما تصعب قراءَتهُ جدًّا حتى على الذين مارسوا قراءَة الخط سنين كثيرة . وقد احسن حضرة الاديب سليم افندي ابرهيم صادر صاحب المكتبة العمومية في بيروت بجمعهِ كتابًا اودعهُ اشكالاً كثيرة من امثلة الخطوط العربية المختلفة فنثني على همتهِ ونحث ارباب المدارس على استعمال كتابهِ وهو رخيص جدًّا ثمنهُ ٦٠ سنتيمًا اي نحو غرشين ونصف ويكون اقل من ذلك للمدارس

النتيجة السنويَّة والتعازي الروحانيَّة

وضع هذه النتيجة لسنة ١٦١٨ القبطية حضرة رزق الله افندي السيد البرماوي ووضع فيها لكل يوم من ايام السنة آيتين من الكتاب المقدَّس الواحدة تقابل الاخرى كقول صاحب الزبور الى متي يارب تحجب وجهك عني وقولهِ تعالى بلسان اشعيا حجبت وجهي عنك لحظةً وباحسان ابدي ارحمك . ويليق بكل مسيحي ان يقتني نسخةً منها

الفرائد الجمانيَّة

هو شرح للقصيدة الطنطرانية التي مطلعها

يا خليَّ البال قد بلبلتَ بالبلبال بال ❊ بالنوى زلزلتني والعقل في الزلزال زال

وضعهُ حضرة الاديب محمد بن الحاج العربي العنابي الملقَّب بابي الليل . وقال في مقدمتهِ ان ناظم هذه القصيدة هو احمد الطنطراني من جهابذة المدرسة النظامية ببغداد مدح بها نظام الملك شمس الكفاة المتولي امور دار السلام وقتئذٍ" وحبذا لو توسع في هذه المقدمة فاسهب في الكلام على الناظم والمدرسة النظامية ونظام الملك

فتح المنان في علم تقويم البلدان

هو رسالة وجيزة تشتمل على ما يكفي تلامذة السنة الاولى والثانية من المدارس الابتدائية تأليف حضرة الماجد محمد افندي ذهني وضعها على طريق السؤال والجواب واكثر ما فيها حدود يستظهرها الطالب

شهيدة الامانة

رواية ادبية غرامية ممَّا وضعهُ شاتوبريان الكاتب الفرنسوي الشهير وقد عربها حضرة الاديب فرج افندي عبده واهداها الى حضرة الالمعي الفاضل امين بك غالي رئيس نيابة محكمة الاستئناف المختلطة . والرواية ادبية مفيدة اول شيء وقع نظرنا عليهِ منها كلام قالهُ كاهن شيخ جمع الديانة العملية كلها وهو قولهُ انهُ علَّم رعيتهُ " ان يحبوا بعضهم بعضاً وان يعبدوا الله وينتظروا حياةً افضل من هذه بعد الموت " وحبذا لو كثر نشر الروايات الادبية التقوية التي من هذا القبيل

باب المسائل

(١) ملك مصر في عهد ابرهيم

امبابه . إسكندر افندي نبيه . سألتكم مرةً في الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين من كان ملك مصر لما دخلها ابرهيم الخليل فكان جوابكم "لا يعلم ذلك لان تواريخ الملوك المصريين غير محققة وكذلك تواريخ التوراة والفرق بين العلماء الباحثين في التواريخ المصرية يصل احيانًا الى اكثر من الف سنة" ولكن قد ابان صاحب عين شمس المجلَّة الاثرية في العدد الاخير من السنة الاولى ان انحدار ابرهيم الخليل الى الاقطار المصرية يحتمل ان يكون في زمن العائلة الثانية عشرة الطيبيَّة المصرية التي عمَّرت نحو سنة ٢٣٨٠ — ٢١٦٧ وفي عهد الملك القوي امنمهات الثالث الذي حفر بحيرة موريس فماذا تقولون

ج نقول كما قلنا اولاً "ان ذلك لا يعلم" وقول صاحب عين شمس لا يناقض قولنا لانهُ حيث وقع الاحتمال بطل الاستدلال فيحتمل ان يكون نزول ابرهيم الى مصر في زمن هذا الملك ويحتمل ان يكون في زمن غيرهِ . واسم ملك مصر يعرف إما من الكتاب المقدَّس او من الآثار المصرية او من مقابلة تواريخ السنين في الكتاب المقدَّس بتواريخ السنين في تاريخ مصر . اما الكتاب المقدَّس فلا يذكر فيهِ اسم ملك مصر بل يذكر لقبهُ الذي يلقَّب بهِ ملوك مصر في الكتاب المقدَّس وهو فرعون . واما الآثار المصرية فكل ما كشف منها الى الآن لا يُذكر فيهِ انحدار ابرهيم الى مصر . واما مقابلة التواريخ فلا تفيد شيئًا لانها على ما تقدَّم من الاختلاف سواءٌ كانت في التوراة او في التواريخ المصرية فالعائلة الثانية عشرة المصرية التي تشيرون اليها حكمت سنة ٣ ٣٧ قبل المسيح على حساب شمبوليون فيجياك وسنة ٢٣٨٠ على حساب لبسيوس . وسنة ٢٤٦٦ على حساب برغش وسنة ٢٨٥١ على حساب مريت . ولنفرض ان زمن ابرهيم الخليل معروف محدود وهو بحسب ما تعتمدهُ اكثر الكنائس البروتستانتية سنة ١٩٢٠ قبل المسيح فهل يمكن ان يطبق على ملك من ملوك هذه العائلة والاختلاف بين العلماء في زمنها يزيد على الف وثلثمئة سنة . ثم ان العائلة الثالثة عشرة التي جاءت بعد العائلة الثانية عشرة ابتدأت سنة ٢١٣٦ على حساب لبسيوس ومدده اقل المدد قدمية وعليهِ فزمن العائلة الثانية عشرة سابق لزمن ابرهيم الخليل . ولذلك كلهِ يبقى جوابنا الاول في محلهِ لا غبار عليهِ . واذا كشف في المستقبل اثر

مصري يثبت نزول ابرهيم الخليل الى مصر ويعرف منهُ زمن نزولهِ لا نتأخر عن ذكرهِ في المقتطف

---

(٢) غلاء الخزف الصيني

طرابلس الشام المسيو جواني كاتسفليس. يتفاخر البعض بالصيني القديم حتى صارت الكاس السوداء المذهبة منهُ تباع بمئة وخمسين فرنكاً فهل يستحق هذه الاسعار وما هي قدميتهُ واهميتهُ

ج ان قيمة المصنوعات هي ثمن موادها الاصلية وأجرة العمال الذين بصنوعها وربا رأس المال الذي تعمل بهِ وربح التجار الذين يتجرون بها ونفقات النقل والخزن الخ . واذا كان صانع المصنوعات من اهل المهارة النادرة فيغالي اصحاب اليسار حينئذٍ باثمانها على حسب غناهم ورغبتهم في اقتنائها ونسبتها الى غيرها من مقتنياتهم حتى اذا قصد واحد منهم ان يجمع امثلة من مصنوعات صانع واحد او صنَّاع امةٍ من الامم فقد يبتاع النادر منها او ما يجدهُ تكملةً لما عندهُ باغلى الاثمان اذا لم يستطع ابتياعهُ بثمن ارخص منهُ . والخزف الصيني يستحق ثمناً غالياً لكثرة ما ينفق في إعداد طينهِ ونقشهِ ودهنهِ وشيهِ من الوقت والتعب . ثم اذا كانت رسومهُ متقنة اضيف الى ثمنهِ اجرة مهارة الصانع الماهر الذي صنعهُ واذا قدم عهدهُ قلَّت امثالهُ لكثرة ما يتكسَّر منها على طول الزمان ولكثرة انتشارهِ فتزيد المغالاة بهِ. وقد رأينا آنية صينية يباع الاناء منها بمئات من الجنيهات وآنية من صنع اوربا يباع الاناء منها بمثل ذلك او باكثر من ذلك وجانب من ثمنها اجرة صنَّاعها والمهارة التي صُنعت بها والجانب الآخر مغالاة دعت اليها الندرة والرغبة . اما القدمية فمختلفة والصينيون صنعوا الخزف قبل المسيح بنحو الفي سنة ولا اهمية للآنية الصينيَّة الآن من حيث جمعها للزينة والمباهاة

(٣) ورثة الالقاب

ومنهُ . اصطلح البعض على توجيه لقب بك الى اولاد البكوات واولاد اولادهم فهل تسمح نظامات الدولة بتوريث هذا اللقب كما هو جارٍ واذا بقي الحال على هذا المنوال فكم يكون عدد البكوات بعد نصف قرن

ج ان نظام الحكومة المصرية الذي نظنهُ منقولاً عن نظام الحكومة العثمانية يعطي لقب بك لابناء الباشوات اما ابناء ابنائهم فلا ينالونهُ بالارث ولذلك يبقى عددهم محصوراً

(٤) اكل الحيات

ومنهُ . هل يوجد نوع من الحيات لا يأكل غير تراب الارض فقط

ج كلاَّ والحيات من آكلات الحشرات ونحوها كالبيض والجبن

(٥) صورة الجنيه الانكليزي

بيروت الخواجه انيس خوري . نرى الدولة الانكليزية ترسم على الليرة صورة القديس جاورجيوس فما سبب ذلك

ج لان الانكليز يحسبون القديس جاورجيوس حامي انكلترا ويقال ان اول من قال بذلك الملك ريكاردوس المعروف بقلب الاسد فانهُ استعان بهذا القديس في الحروب الصليبيَّة فاعانهُ ثم جُعل حامياً للمملكة الانكليزية في عهد الملك ادوارد الثالث

(٦) تنظيف ريش النعام

ومنهُ . ما هي الطريقة الحسنة لتنظيف ريش النعام

ج تذاب اوقية من الصابون الابيض في رطل من الماء على النار وحينما يبرد الماء ويبقى فاترًا توضع الريشة فيهِ تمسك باليسرى يضغط عليها بسبَّابة اليد اليمنى وتسحب باليسرى والاصبع ضاغطة عليها ويكرَّر ذلك مرارًا كثيرة الى ان تنظف ثم تجاز في ماءٍ نقي مرارًا ثم في ماءٍ اذيب فيهِ قليل من النشا وازرق اللازورد وتوضع على خرقة من الشاش وتترك حتى تجف في الشمس وقبلما تجف كثيرًا تفرك بين الراحتين

(٧) تجعيد الريش

ومنهُ . وما هي طريقة تجعيدهِ

ج يمسك المجعد سكيناً غير ماضٍ ويضع ريشات الريشة واحدة واحدة بين ابهامهِ وحد السكين ويشد عليها ويسحبها من محل منذ غمها بالريشة الى اعلاها فتنعطف على نفسها ولا بد لهُ من ان يعطف الريشات كلها الى جهة واحدة

(٨) تنظيف الريش من العث

ومنهُ . ما الدواء لحفظهِ من العث

ج النفتالين يحفظهُ من العث واذا اريد حفظهُ من سنة الى أُخرى او من فصل الى آخر فاسهل طريقة لحفظهِ من العث ان يوضع في كيس من القطن يخاط جيدًا فلا يدخل فراش العث اليهِ

(٩) دليل البلدان

ومنهُ . نرى كثيرين من الاوربيين الذين يجولون في الممالك المحروسة بيدهم كتاب يستدلون منهُ على الطرق والاماكن فما اسمهُ واين يباع وهل هو مطبوع بالعربيَّة او بالانكليزية فقط

ج نظن انكم تشيرون الى كتب مري Murray او كتب بدكر Baedeker وهي كتب مسهبة تباع عند كل باعة الكتب الاوربيين في مصر والاسكندرية ونظن انها تباع ايضاً في المطبعة الاميركية في بيروت ولم تترجم الى العربيَّة

(١٠) اختلاف اللغات

ومنهُ . من المعلوم ان ابوينا الاولين كانا يتكلمان لغة واحدة وبقي نسلهما يتكلم لغتهما

الى ان تبلبلت الالسن فاختلفت لغات الناس قليلاً . وقد تعددت اللغات كثيرًا الآن حتى صارت تعدُّ بالالوف فما سبب ذلك

ج لو ذهبت قبيلتان تتكلمان لغةً واحدة الى جزيرتين بعيدتين احداهما عن الاخرى وسكنتاها ولم يعد نسل القبيلة الواحدة يتصل بنسل القبيلة الاخرى بوجه من الوجوه وبقيتا على ذلك الف سنة او اكثر لاختلفت اهل لغة الجزيرة الواحدة عن لغة اهل الجزيرة الاخرى ولو كانتا في الاصل لغة واحدة وذلك لان الناس يختلفون ولو قليلاً في تصوراتهم وتعبيراتهم ولفظهم فيجري اهالي الجزيرة الواحدة على طرق من اللفظ والتعبير لا يجري عليها اهالي الجزيرة الاخرى وعلى توالي السنين يزيد الفرق بينهم حتى لا يعود الفريق الواحد منهم يفهم كلام الفريق الآخر فتصير لهم لغتان مختلفتان وعلى هذا النمط اختلفت اللغات وتنوَّعت واختلفت اشكال النبات والحيوان وتنوَّعت ايضاً . ويحسن بكم ان تراجعوا الفصول التي كتبناها عن تولُّد اللغات ونموها في المجلد العاشر والحادي عشر من المقتطف

(١١) غسل المنسوجات الحريرية

ومنهُ بماذا تغسل الاقمشة الحريرية البيضاء حتى تبقى على لونها الاصلي بيضاء نقية

ج ان الغسل بالماء والصابون يبقيها بيضاء او يزيدها بياضاً ولكنهُ قد يزيل لمعانها

(١٢) اسم اسيوط

مصر . عبد المجيد افندي فهمي . ما معنى كلمة ليكوبوليس الذي كانت مدينة اسيوط تسمَّى بهِ

ج مدينة الذئاب وذلك لان انوبس الذي رأسهُ يشبه رأس الذئب او ابن اوى كان يعبَد فيها

(١٣) روايات ايبرس

مصر . بانوب افندي حنا ما هي روايات العلاَّمة جورج ايبرس التي لها علاقة بتاريخ مصر وما الذي ترجم منها الى العربيَّة

ج انشأ اولاً الاميرة المصرية سنة ١٨٦٤ وقد ترجمت الى العربيَّة وطبعت في في مطبعة المقتطف وقصة وردة سنة ١٨٧٧ وهي تترجم الآن وتطبع في المؤيد ولهُ روايات اخرى يظهر من اسم واحدة منها وهو سيرابيس انها مصرية او من عهد البطالسة ولكننا لم نقرأ من رواياتهِ غير الروايتين الاوليين

(١٤) رواية تاريخ مصر

ومنهُ ما اسم احسن رواية تبسط تاريخ مصر تفصيلاً

ج ما من رواية تبسط تاريخ مصر تفصيلاً لان تاريخ مصر يمتد ستة آلاف سنة ولا يمكن ان يعيش المذكورون في رواية هذا الزمن المديد حتى تذكر معهم حوادث ازمنتهم . فان كنتم تطلبون معرفة

الحوادث التاريخية فاطلبوها في التواريخ لا في الروايات لان واضع الرواية التاريخيَّة يقتصر على بعض الحوادث وقد يغير فيها ويبدل حتى تطابق غرضهُ

(١٥) علامة النسبة

الاسكندرية. احمد افندي كامل مراد. لا يخفى ان علامة النسبة في العربية ياء تلحق آخر الاسم فيقال مصري وشامي نسبةً الى مصر والشام ولكنَّا نرى اسماءً كثيرة تنسب باضافة لفظة جي الى آخرها فيقال قهوجي وعربجي فما هي هذه النسبة

ج تركية جرى عليها المحدثون اخذاً عن الاتراك

(١٦) معنى خان

ومنهُ. ما معنى كلمة خان التي تلحق بآخر اسماء السلاطين ومن اي لغة هي

ج معناها ملك او امير وهي تترية او تركية الاصل

(١٧) المختان الطبيعي

ومنهُ. يولد بعض الاطفال مختونين ويقال ان الجان يختنهم حينما يختن انجالهُ فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ بل ان القلفة تكون قصيرة في بعض الاولاد من اصلها

(١٨) اعالة الفقراء

المنصورة. ابرهيم افندي زكي ألم يهتدِ الباحثون الى احسن طريقة لاعالة الفقراء الذين يكثر عددهم بكثرة الآلات التي يستغنى بها عنهم وبسبب غلاء المعيشة

ج ان الآلات تغني عن كثير من العمال ولكن العامل المجتهد يجد دائماً عملاً يعمل بهِ ويجد اناساً يفتشون عنهُ. والمعيشة ليست الآن اغلى مما كانت قبلاً. والخيرات كثيرة في الدنيا ويستطيع كل رجل ان يحصل منها ما يقوتهُ ويقوت ثلاثة او اربعة معهُ وانما سبب الفقر الكسل والاسراف. كنا ماشين مرةً في احد شوارع لندن فرأينا رجلاً رث الثياب يمشي ووراءهُ امرأَة تتوسل اليهِ وتبكي وهو يشتمها وينفر منها فنظرنا اليها وسأَلناها عن امرها فقالت لنا ان اطفالها جياع عراة وهذا زوجها يأْخذ اجرتهُ ويسكر بها ولا يطعم اولادهُ. وهذه حال اكثر المساكين في المدن الاوربية يكتسبون ما يكفيهم ولكنهم ينفقونهُ على المسكر فاذا زال المسكر من الدنيا وعوقب الكسلان والمسرف معاقبة الجاني زال اكثر ما يرى فيها من الفقر والضنك

(١٩) جبل طارق

ومنهُ. اكان مضيق جبل طارق ارضاً يابسة وثغرتهُ المياه او هو من عمل الانسان

ج يظهر من المباحث الجيولوجيَّة ان الجبل كان متصلاً ببر افريقية وبينهما فرجة او وادٍ باطنهُ اعلى من سطح البحر وحينئذٍ كانت اوربا متصلة بافريقية بهِ ثم هبط الجبل

نحو سبع قدم عن الحد الذي هو عليهِ الآن فصارت الفرجة بوغازًا يجري فيها الماء ثم ارتفع ثانية وانخفض بعد ذلك كما هو منخفض الآن والامواج تزيد الفرجة اتساعاً . ولعلَّ الفرق بين اتساعهِ الحالي واتساعهِ وقتما عبره العرب ناتج اكثرهُ عن خسوفهِ لا عن فعل البحر بهِ

(٣٠) آثار مصرية في غير مصر

ومنهُ . تكرر العثور على آثار مصرية في غير مصر وآخر ما قرأتهُ انهم عثروا على البعض منها في مشونالاند فبماذا يعلَّل ذلك

ج كان سكان مصر في العصور الغابرة اذا رحلوا الى بلاد يبقون على عاداتهم وعباداتهم فيحنطون موتاهم ويضعون في مدافنهم ما يضعونهُ فيها في القطر المصري وكان ملوكهم يصلون في غزواتهم الى اطراف السودان جنوبًا وبلاد ارمينية شمالاً ويبقون آثارهم فيها اما مشونالاند فالمظنون ان رجال سليمان الحكيم كانوا يذهبون في البحر الاحمر الى هناك لجلب الذهب فلا يبعد ان يكون المصريون قد سبقوهم اليها او لحقوهم وابقوا آثارهم فيها

(٣١) المشاهير والنوائب

ومنهُ . يكثر ان يصاب مشاهير الرجال واعاظمهم بنوائب الدهر في اخريات ايامهم فبماذا يعلَّل ذلك

ج لا نظن ان الامر كما تقولون ولا نعلم ان احدًا بحث عن ذلك فوجدهُ كما تقولون وطريقة البحث ان يُنظر في تاريخ مئة رجل من المشاهير من غير اختيار ومئة رجل من غير المشاهير من غير اختيار ايضاً فاذا ظهر ان اربعين او خمسين في المئة من الاولين اصيبوا بنوائب الدهر في اخريات ايامهم ولم يصب من الآخرين بها سوى عشرة او عشرين ترجح صدق حكمكم وحقَّ البحث فيهِ

(٣٢) نفع الاجانب

ومنهُ . اذا كان اتيان عمل نافع من بد اجنبيَّة كانشاء السكك الحديدية يفيد الذين تنشأ عندهم من باب تسهيل المواصلات ولكنهُ يؤدي الى اضعاف نفوذهم ومحو استقلالهم فهل يفضل هذا النفع على ضياع الاستقلال

ج كلاَّ ولكن القوم الضعاف الذين يدعون الغير بنشيء السكك في بلادهم ويضيع استقلالهم قلما يرجى ان يحتفظوا بهِ او يستفيدوا منهُ ومع ذلك فترك الناس يحكون جلدهم بظفرهم خير لهم من ان يجرَّعوا وسائل العمران تجريعاً قبلما يصيرون اهلاً لورود مواردها

(٣٣) سوس الرمان

الخطاطبة . الخواجه حبيب جدي . عندنا كثير من شجر الرمان وقبلما يطيب

يدبُّ السوس فيهِ فيتلفهُ وقد جربت التبخير بالشيح والعظام وبراز البهائم فلم يأتِ بنتيجة واشار عليَّ البعض ان الفَّ كل كوز بقفة خوص صغيرة فسلم منهُ قسم صغير وتلف الباقي فهل من واسطة او دواءٍ لمنع السوس

ج اللف بقفف الخوص خير واسطة لوقاية الرمان ويجب ان تشرعوا في ذلك قبلما يقع الفراش على الرمان ويبيض عليهِ وان تكون قفف الخوص محكمة العمل والربط حتى لا يبقى فيها ثقب واسع يدخل الفراش منهُ. وحبذا لو انتدبت الحكومة المصرية احد علماء الحشرات الى درس حشرات بلادها والاشارة بما يقي منها . اما السباخ الذي بعثتم الينا بهِ فلا سبيل لنا الى تحليلهِ ويحسن بكم ان ترسلوهُ الى المعمل الكيماوي وهو يحللهُ لكم باجرة معتدلة

باب الاخبار العلمية

المؤتمر الطبي المصري

أُنشىء مؤتمر طبي في القطر المصري انتظم فيهِ كثيرون من اطباء القطر الاجانب والوطنيين وأُعطيت رئاستهُ لسعادة الشيخ الجليل الدكتور اباتا باشا نزيل الديار المصرية منذ ٥٥ سنة فتنازل عنها للدكتور ابرهيم باشا حسن رئيس مدرسة قصر العيني الطبيَّة . وسيعقد المؤتمر في اواخر سنة ١٩٠٢ من ١٠ الى ١٤ دسمبر في مدرسة قصر العيني وقد منحتهُ الحكومة المصرية خمس مئة جنيه واذنت لهُ في طبع مطبوعاتهِ كلها في المطبعة الاميرية على نفقتها . فعسى ان نرى من حضرات اعضائهِ ما يحقق آمال الناس فيهم فيفيدوا القطر المصري خاصةً والاقطار الشرقية عامةً بعلمهم وبحثهم

البحث عن مذهب كوخ

ان اللجنة التي عينتها الحكومة الانكليزية للبحث عن صحة مذهب كوخ او فسادهِ مؤلفة من السر ميخائيل فوستر الفسيولوجي والاستاذ ودهد البكتيريولوجي والاستاذ مارتن والاستاذ مكفديان والاستاذ بويس وسيكون بحثها في هذه الامور وهي اولاً هل سل البقر هو عين سل البشر ثانيًا هل يعدى بهِ الانسان والحيوان الواحد من الآخر على حدٍّ سوى . ثالثًا اذا كان السل ينتقل من الحيوان الى الانسان فما هي الاحوال التي ينتقل فيها وما هي الامور التي تسهل انتقالهُ وما هي الامور التي تضاد انتقالهُ اما نتيجة بحثها فلا تعلم الاَّ بعد سنة او سنتين في ما نظن

شهداء الحمّى الصفراء

لما ظهر ان البعوض ينقل الحمّى الصفراء الشديدة الفتك في البلاد الاميركية تبرع ثمانية رجال ليمتحن ذلك فيهم في هافانا عاصمة كوبا فعرَّضوا انفسهم للبعوض الذي امتصَّ ميكروب الحمّى الصفراء حتى لسعهم فمات ثلاثة منهم بهذه الحمّى الخبيثة ومرض ثلاثة بها ويرجى شفاؤُهم وواحد لم تظهر فيهِ الحمّى قط وواحد لم يفت الوقت على ظهورها فيهِ حينما ورد الخبر على جريدة التيمس منذ شهر من الزمان فلم تبقَ شبهة في ان البعوض ينقل هذا المرض الخبيث ويطعِم الاصحاء بعدواهُ حينما يلسعهم

قرارات مؤتمر السل

اقرَّ اعضاء مؤتمر السل على امور كثيرة اهمها ما يأتي

(١) ان نفث المسلول هو اكبر واسطة لنقل عدوى السل من انسان الى انسان ولذلك يجب منع البصق في الاماكن العمومية واتلاف بصاق المسلولين واعطاء كل مسلول قنينة يبصق فيها ويضعها في جيبهِ

(٢) ان تنشأ مصاحٌ في كل بلاد يمضي اليها المسلولون ويعالجون فيها

(٣) ان تنشأ ملاجئ لفقراء المسلولين يعالجون فيها على نفقة الحكومة

(٤) ان تبذل الهمَّة في نشر التعاليم التي يتعلمها الناس فيعرفون كيف يُتَّقى السل وكيف يُعالَج

امتحان مذهب كوخ

تبرَّع ثلاثة في شيكاغو باميركا ليمتحن فيهم ميكروب سل البقر لاثبات مذهب كوخ او لنقضهِ احدهم شاب عمرهُ ١٨ سنة والثاني كاتب في ديوان الصحَّة عمرهُ ٢٣ سنة والثالث من مستخدمي المعمل الطبي وعمرهُ ٣٣ سنة . وينتظر ان يعرض كثيرون انفسهم للامتحان حتى يظهر فعل ميكروب سل البقر في كل اسنان الناس وفي احوال مختلفة . وقد طُعِم هؤُلاء الثلاثة في اذرعهم كما يطعَّم الانسان عادةً للوقاية من الجدري فاذا لم يظهر فيهم التدرُّن طُعِّموا هم او غيرهم لامتحان فعل الميكروب بالامعاء والرئتين

مجمع ترقية العلوم البريطاني

اشرنا في هذا الجزء الى التئام مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة غلاسغو ونشرنا خطبة رئيسهِ الاستاذ ركر وجانبًا من خطبة رئيس قسم علم الحيوان فيهِ . وقد بعث الينا ولدنا نجيب صروف وهو عضو في هذا المجمع بوصف مسهب لما رآهُ وسمعهُ فيهِ وسننشرهُ في الجزء التالي

مجمع ترقية العلوم الاميركي

اجتمع مجمع ترقية العلوم الاميركي اجتماعهُ الخمسين في مدينة دنفر بولاية كولورادو في

٢٤ اغسطس وخطب فيهِ الاستاذ وودورد خطبة الرئاسة وموضوعها تقدُّم العلم واكثرها فلسفي وادبي لكنهُ جاهر فيها باقوال لا بدَّ من ان يخالفهُ فيها كثيرون من فضلاء اميركا . قال انهُ من الواضح البيّن ان سكك الحديد وسفن البخار والتلغراف وصحف الاخبار تنير الشعوب التي لا تزال في الظلام الدامس اكثر مما ينيرهم كل دعاة الاديان . وقد غالي في فائدة التجارة للامم النائية وفاتهُ ان هذه الامم تكاد تنقرض من فضل التجار الذين يأتونها بالاسلحة والمسكرات قبل كل بضاعة . وسنعود الى هذه الخطبة في فرصة أُخرى وننشر خلاصتها

بالون ديمون

صنع المسيو ديمون بالونًا جديدًا غير البالون الاول الذي دار بهِ حول برج ايفل وقصَّر عن الرجوع الي سان كلو في الوقت المحدد لنيل الجائزة. وطار بهذا البالون الجديد عساهُ ينال الجائزة فلم ينلها لان حبلاً من حبالهِ علق بشجرة فمنعهُ من السير . وقد صنع المستر وليم بيدل بالونًا فيهِ آلة بخارية قوتها ٢٨ حصانًا وهو عازم ان يباري بهِ المسيو ديمون لنيل الجائزة والمنتظر ان يتسابق الاثنان في اواخر اكتوبر

ضرر البعوض

ذهب الماجور روس مكتشف بعوض الحمَّى الملارية الى شاطئ الذهب في جنوبي افريقية للبحث عن الحميات الملارية وقد كتب منها يقول ان الدكتور تيلر نظف خمسة آلاف بيت في مدينة فريتون من كل الآنية التي يترك فيها الماء فيبيض فيهِ البعوض فكانت النتيجة ان قلَّ البعوض جدًّا . والبعوض المقصود هنا هو البعوض العادي الذي نراهُ في القطر المصري والشامي وهو ينقل عدوى الحمَّى الصفراء وعدوى داء الفيل ومن المحتمل ايضًا انهُ ينقل عدوى غيرهما من الامراض . قال الماجور روس وقد اهتمَّ الدكتور تيلر والدكتور بركلي بطمر كل المستنقعات الصغيرة التي يربو فيها بعوض الحمَّى الملارية حتى قلَّ هذا البعوض جدًّا وصار يتعذَّر الحصول علي واحدة منهُ لاجل الامتحان العلمي . والذين يصابون بالحمَّى الملارية هناك هم الجانون علي انفسهم لانهم كلهم يستطيعون اتقاءها

ضرر قناديل البتروليوم

ألَّف اثنان كتابًا انكليزيا في زيت البتروليوم ذكرا فيهِ تاريخهُ واستخراجهُ وتنقيتهُ واستطردا الى ذكر الضرر الذي يحدث من اشتعال قناديل البتروليوم فقالا انهُ يموت في السنة ١٢٩ نفسًا من اشتعالها ويبلغ عدد المرات التي تستعمل فيها في هذه المدة ٤٠٠٠ مليون مرة . فاذا وجب ابطالها بسبب ما يقتل باشتعالها وجب ان لا تبنى البيوت الاَّ

طبقة واحدة لانهُ يقتل بالسقوط من سلالم ذات الطبقات ٥٥٠٠ نفس كل سنة

زبدة النارجيل

صنع معمل في مرسيليا الزبدة من جوز النارجيل فاذا هي انقى من زبدة البقر واجمد منها واشد بياضاً واصلح منها لعمل الكعك وغيرهِ من انواع الحلوى وارخص كثيرًا من زبدة البقر

الوندسو المغذي

في اواسط افريقية نبات اسمهُ الوندسو من فصيلة القطاني لهُ ثمر كالبندق ينضج تحت الارض فيهِ دقيق ابيض اذا سلق اشبه طعمهُ طعم الكستنا المسلوقة وقد حُلل تحليلاً كيماويًّا فوجد فيهِ ٥٨ في المئة من النشا و١٩ في المئة من المواد النيتروجينية و١٠ في المئة من الماء و٦ في المئة من الزيت و٤ في المئة من السلولوس و٣ من الرماد ويقال انهُ الثمر الوحيد الذي فيهِ كل ما يحتاج اليهِ جسم الانسان من الغذاء فيستطيع ان يعيش عليهِ فقط

حديث مع الماجور اوستن

سار الماجور اوستن من ام درمان في اواخر السنة الماضية بحملة من الجنود السودانية والجهادية لتخطيط الاراضي الواقعة على تخوم السودان والحبشة شمالي بحيرة رودلف وقد استصحب معهُ اثنين من الانكليز احدهما الدكتور جارنر اخو الدكتور جارنر من موظفي مصلحة الصحة العمومية والآخر الماجور بريط اولهما للسهر على صحة الحملة وثانيهما للارصاد الجوية ومساعدة الماجور اوستن في تخطيط الاراضي . وكان الاتفاق بينهُ وبين حكومة السودان على ان توافيهُ بالزاد الى مكان معين . فضلَّ المكان ولما جاءت القافلة اليهِ بالزاد لم تجد لهُ فيهِ اثرًا ولا سمعت عنهُ خبرًا وانقطعت اخبارهُ وارسلت حكومة السودان الرسل الكثيرين يستقصون آثارهُ ويسألون عنهُ فلم يظفروا بخبر عنهُ حتى وصل الى مكان يقال لهُ بارنجو في بلاد اوغندة فارسلت الحكومة الانكليزية في اوغندة تنبئ بوصولهِ اليها

وقد وصل هو ورفيقاهُ ومن بقي سالماً من رجال حملتهم الى هذه العاصمة يوم السبت في ٢٨ سبتمبر فقابلناهُ وهو شاب في الثالثة والثلاثين من عمرهِ ولكنهُ اشمط السالفين مما مرَّ بهِ من العبر والاهوال في سفرة تقلب فيها بين مخالب المنون الايام الطوال وقد سألناهُ عما اتم في سفرتهِ هذه فاجابنا انهُ كان قد خطط الاراضي التي بين ام درمان والناصر في السنة الماضية فخطط في هذه السنة الاراضي التي بين الناصر ومركز مرلي الواقع على نهر اومو شمالي بحيرة رودلف : فرسم في هاتين السنتين خرائط الاراضي الواقعة بين ام درمان والدرجة الخامسة والدقيقة الحادية عشرة من العرض الشمالي وبين الدرجة ٣٣ والدرجة ٣٦

من الطول الشرقي ووجد في تلك الجهات اراضي فسيحة تصلح للزراعة وباقيها صحاري مجدبة او آكام وهضاب صخرية ومنها جبل يزيد ارتفاع قمتهِ اكثر من سبعة آلاف قدم عن سطح البحر شمالي بحيرة رودلف يراهُ الناظر من ابعاد شاسعة . وكان اجتيازهم تلك الجهات في فصل الشتاء فثارت عليهم انواءٌ وعواصف شديدة واصابتهم ديم مدرار ومطروا امطارًا غزيرة كانت سيولها تجتمع انهرًا وتجري الى بحيرة رودلف سريعًا فتجف حالاً او تمتصها الرمال فينضب ماؤُها في اوقات قصيرة ولكن هناك نهرًا كبيرًا كثير الماء يصب في تلك البحيرة اسمهُ اومو وهو اشهر انهار هاتيك الاقطار

ورأَوا في طريقهم وحوشًا كثيرة اصطادوا منها عددًا يذكر وحملوا جلودها وغيرها مسافة طويلة ثم لما نفد منهم الزاد وخارت القوى القوها في الطريق مع سائر امتعتهم ولم يأْتوا بشيءٍ منها غير الخرائط ورأَوا في مسيرهم نوعين من الايائل يظن الماجور اوستن انهُ لم يسبق لعلماء الحيوان علم بهما وقد رصد الماجور بريط رفيقهُ حرارة الهواء فكان اعلى درجات الحرارة ٢/١ ٤١ واوطأُوها ٢٠ بميزان سنتكراد

ولما انتهى من وصف جغرافية الاراضي التي خططها سأَلناهُ عن اهلها فقال انهم اقوام من أحط اهل الارض خلقًا ومن اشدهم توحشًا يعتقدون بوجود خالق الكائنات لكنهم عبدة اوثان او بشر بلا اديان . وهم قبائل شتى اعظمها واقواها واغناها قبيلة التركانة المنتشرة على ساحل بحيرة رودلف الغربي وساحلها الجنوبي وكلها عشائر رُحل تقتني الابل والحمير والغنم والمعزى وتنتقل بانعامها من مكان الى مكان في طلب الكلاءِ وتقتات بلحومها ولحم الحمير من جملتها ولا يكاد يكون عندها حبوب ولا قطاني ولا مأْكل غير لحم المواشي وليس فيها من يلبس لباسًا او يستر عورة فترى رجالها ونساءها كبارها وصغارها عراة الاجسام من قمة رأْسهم الى اخمص قدمهم كما خلقوا من بطون امهاتهم . ولا يبنون منازل ولا يضربون مضارب ولكنهم يتقون الرياح والامطار بمظال ينشرونها لتردها عنهم وسلاحهم الحراب والقسي والنبال ولا وجود للاسلحة النارية عندهم

فقلنا وكيف كان شأْنهم معكم عند مروركم في بلادهم

قال انهم عاملونا معاملة الدّ الاعداء فقد اخذنا معنا ثمانية احمال من الخرز واحمالاً كثيرة من الاسلاك الحديدية والنحاسيَّة وغيرها مما تقايض بهِ قبائل السودان وتعدهُ اثمن من الذهب والحجارة الكريمة فابوا مقايضتنا وامتنعوا عن اعطائنا ما نقتات بهِ في بلادهم وتعقبونا في مسيرنا ورصدوا لنا في حركاتنا وسكناتنا واغتالوا كل من ظفروا بهِ

منفرداً منا طعناً بحرابهم فقتلوا مرة ثالثة من رجالنا وهجموا علينا مرة بعد نصف الليل بساعة في ٥ مايو يريدون اغتيالنا في محلتنا ونحن نيام فسمع خفراؤُنا صياحهم وزغردتهم وقابلوهم برصاص البنادق فردوهم على اعقابهم مدحورين قبل ان يدخلوا محلتنا فكفانا الله شرَّهم وبقينا شهراً من الزمان نخترق بلادهم فاغتالوا فيهِ تسعة من رجالنا طعناً بحرابهم

وقد قابلتنا القبائل الاخرى بالعدوان كقبيلة التركانة فلم نستطع ان نحصل منها على طعام ولا سيما لان البلاد اجدبت من قلة الامطار واشتداد القيظ في العام الماضي فاشتدَّ علينا الجوع بعد نفاد زادنا ولذلك ولشدة ما قاسينا من العطش في جوب المفاوز واجتياز البلاد التي ماؤُها كريه لا يشرب وما عانينا من مشاق السفر مشياً على الاقدام ضعفت منا الابدان وخارت القوى، فمات معظم رجالي ضعفاً وخوراً . فاني اخذت معي من ام درمان اثنين وثلثين جهادياً فماتوا كلهم ما عدا اثنين رجعا معي الى هنا وكذلك مات نصف من استصحبت معي من العساكر السودانية . ونفد منا كل زاد وطعام قبل ان نصل الى اوغنده بشهرين ونصف فقضينا هذه الايام كلها ونحن نذبح جمالنا وحميرنا التي تحمل امتعتنا ونأكلها لنعيش بلحمها . واصابني من جراء ذلك مرض شخصهُ الاطباء بنوع من الاسكربوط فاضناني وذهب بعافيتي وقد عدت الآن الى صحتي ولكنني لم استرجع بعدُ قوتي على ان رجالي من العساكر السودانية والجهادية كانوا يحتملون ذلك كلهُ بالصبر الجميل فلم ارَ منهم تمرداً وسط اشد الشدائد ولا عصياناً للاوامر ولا شقاً لعصا الطاعة

فقلنا وهل مر احد من البيض في تلك الجهات قبلكم. قال اننا قطعنا الطريق التي مر بها الدكتور دونلد سميث قادماً من الجنوب الى الشمال في السنة الماضية وكذلك قطعنا الطريق التي مر بها الكبتن ولبي قبل سنتين ولما جئنا نهراً يقال لهُ سكي على الضفة الشمالية من بحيرة رودلف رأينا منديلاً على شجيرة هناك فاستغربنا وجود هذا الاثر من آثار التمدن بها فرفعناهُ عن الشجيرة فاذا الحرف ب الافرنجي قد طرز على طرف منهُ فعلمنا انهُ اول حرف من اسم الرحالة الايطالي بوتيجو الذي راد تلك الجهات سنة ١٨٩٧ فاضاع منديلهُ على الشجرة حيث بقي تلك السنين

فقلنا اما رأيتم احداً من الاحباش في تلك الاقطار قال اننا لم نرَ احداً منهم ولا عثرنا على اثر لهم . فقلنا انهم يدَّعون ان تلك البلاد لهم على ما نسمع فكيف يدَّعونها وهم لا يعرفون شيئاً عنها قال لا بل يعرفونها وقد رسمت الآن خريطتها وبقي ان حكومة السودان والحبشة تتفقان على تعيين التخوم الفاصلة بينهما فيها

فقلنا وهل سلمتم تلك الخريطة الى

الحكومة السودانية قال اني تركت خريطة مجملة في نظارة الحربية وانا عازم على السفر مع رفيقيّ الى انكلترا يوم الاثنين المقبل وهناك اطبع خارتة مفصلة مطولة وارسلها اليها

زرافة بخمسة قرون

للزرافة عادة ثلاثة قرون اثنان طويلان مدملكان وواحد قصير امامهما . وقد اكتشف السر هري جنستن الآن زرافة في اوغندا لها خمسة قرون ثلاثة منها مثل القرون العادية واثنان قصيران وراءها . والخمسة خاصة بالذكر واما الانثى فلها ثلاثة فقط

مزج ابدان الافاعي

اتي الاستاذ دكسن الاميركي بافعى من ذوات الاجراس وطوّق عنقها بطوق من الحديد ليأمن لسعها وقطع ذنبها واتى بصل وقطع ذنبهُ ووصلهُ ببدن الافعي مكان ذنبها وخاطهُ بهِ فعاشت بذنب غير ذنبها وبقي السم يفرز من انيابها كما كان اولاً

الياف الخوص

عُرف خوص النخل في هذه البلاد منذ الوف من السنين وضفرت منهُ القفف واستخرجت الالياف ولكننا لم نسمع قبلاً ان احداً حاول ان يستخرج منهُ اليافاً دقيقة تنسج كالقطن والكتان . اما الآن فقرأنا ان بعضهم استخرج من سعوف النخل اليافاً دقيقة متينة وذلك بان تنقع السعوف في مذوَّب الصودا الكاوي حتى يصير استخراج الالياف منها سهلاً ثم توضع في الماء اربعاً وعشرين ساعة وتعالج بزيت النارجيل والقلفونة اجزاء متساوية وتوضع في الحامض الكبريتيك والماء واخيراً تغسل الالياف جيداً بماء نقي حتى تنظف فتكون بيضاء . ويصلح هذا العمل للخوص كما يصلح للسعوف

اكبر الجوّالات

صنع الانكليز جوّالة سموها لوياثان اكبر من الجوّالات التي صنعتها حكومة يابان وكانت اكبر جوّالات الدول الحربيَّة . وطول الجوّالة الانكليزية خمس مئة قدم وتفريغها ١٤١٦٠ طناً وآلاتها البخارية قوتها ٣٠٠٠٠ حصان وسرعتها ٢٣ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي مدرعة بدرع أثقل من درع كل جوّالة أُخرى غيرها

تخريب الغوّاصات

لم تكد تثبت فائدة الغوّاصات واستطاعتها على الفتك بالبوارج الكبيرة حتى استنبط الانكليز واسطة لتخريبها فانهم اوصلو عموداً طويلاً طولهُ ٤٢ قدماً بقارب من قوارب التربيد وساروا بهِ الى حيث اغرقوا برميلاً كبيراً بدل غواصة الى ان صار طرف

العمود فوق البرميل فطرحوا منهُ طربيلاً فيهِ ٣٢ رطلاً من قطن البارود حتى اذا دنا من البرميل اشغل ما فيهِ بالكهربائية فانفجر انفجاراً هائلاً مزق البرميل ويقال انهُ لو كانت هناك غوَّاصة لمزقها تمزيقاً

شجاعة الاطباء ومذهب كوخ

حالما اشتهر ما قالهُ الدكتور كوخ من ان سل البقر لا يعدي البشر كتب اليهِ الدكتور غارنول من باريس يعرض عليهِ نفسهُ ليمتحن ذلك فيهِ وقال في كتابهِ ان عمرهُ ٤١ سنة وثقلهُ ١٠٠ كيلوغرام وصحتهُ جيدة جدًّا ولا اولاد لهُ ولا عجب اذا ضحَّى رجال العلم انفسهم في سبيل العلم فان اناساً احط منهم مقاماً واقل علماً وتهذيباً لا يحجمون عن تضحية انفسهم في ميادين القتال لاغراض لا تقابل باغراض رجال العلم . قال مكاتب اللانست الباريزي انهُ اذا بقي الدكتور غارنول هذا سليماً بعد الامتحان قال المخالفون لكوخ ان جسمهُ لا يقبل داء السل . واذا أُصيب بهِ قال الموافقون انهُ أُصيب بالسل بطريقة اخرى

الدكتور كلمت ولسع الافعى

ان الدكتور كلمت مكتشف ترياق سم الافاعي ومدير مستشفى باستور في ليل كان يستخرج سم افعى من الافاعي الخبيثة فوقعت منهُ الكلاَّبة التي يمسك بها رأس الافعى في قفصها حينما يستخرج السم منها فلسعتهُ في يدهِ اليمنى لسعاً بالغاً . وسمُّ هذه الافعى سريع الفعل شديد الفتك اما هو فبادر وحقن نفسهُ بالترياق الذي استنبطهُ اي المصل المضاد لسم الافاعي . وورمت يدهُ واصابتهُ الحمى ولكن الترياق فعل فعلهُ وضادَّ فعل السم فعادت الحمى وانخفضت في النهار نفسهِ وشفي من السم في اليوم التالي فاثبت فعل هذا الترياق في نفسهِ ولو على غير قصد منهُ

السفن الفرنسويَّة الغوَّاصة

اذا اتمت فرنسا ما اقرَّت على عملهِ من السفن الغوَّاصة صار عندها سنة ١٩٠٦ ثمان وستون غوَّاصة . وقد شرعت في انشاء عشرين سفينةً منها هذه السنة يتم منها ثلاث في السنة التالية وسبع عشرة في السنة التي بعدها

كلَّة للمسافرين

اثبت الاستاذ كرمودي في احدى الجرائد الطبية رسماً لكِلَّة (ناموسية) يستخدمها المسافرون في المنطقة الحارة ليتقوا بها لذع البعوض وهي معلقة او تعلَّق عند الحاجة بالمظلة (الشمسية) التي لا بدَّ منها هناك لكل مسافر فيتقي بهذه حرَّ الشمس نهاراً وبتلك لذع البعوض ليلاً

آثار بلاد الماشونا

عاد الدكتور كارل بيترس بعد سفرٍ طويلٍ قطع فيهِ بلاد زامبسي الى نهر صابي وقد اكتشف كثيراً من العاديات والآثار القديمة في جوار بلاد الماشونا فمن ذلك قطعة من المصنوعات المصرية يرجع تاريخها الى ٢٥٠٠ سنة قبل المسيح ومنها ايضاً ثلث وثلثون قطعة من النقود النحاسية وست قطع من النقود الفضية . وحجران عليهما كتابة قديمة . ويرجى ان ترسل بعثة علمية لاجل زيادة البحث والاستطلاع

سكة كهربائية

تألَّفت شركة فرنسوية بلجيكية برئاسة ملك البلجيك لمد خط كهربائي تسير عليهِ قطر الركاب والبضائع الخفيفة بين باريس وبروكسل وبين بروكسل وانتورب وينتظران تقطع المسافة بين باريس وبروكسل في ساعةٍ ونصف وبين بروكسل وانتورب في عشر دقائق

الفاكهة بدل المسكرات

في كل انواع الفاكهة كثير من الماء ففي البطيخ ٩٥ في المائة وفي العنب ٨٠ في المئة وفي البرتقال ٨٦ في المئة وفي الليمون الحلو ٩٠ في المئة وفي الخوخ (الدراقن) ٨٨ في المئة وفي التفاح ٨٢ في المئة وفي الكمثرى (الاجاص) ٨٤ في المئة . فلا فاكهة الاَّ وفيها ثمانون في المئة ماء على الاقل ولذلك فهي تروي العطشان وتقوم مقام الماء . والذين يكثرون من اكل الفاكهة يقلون من شرب الماء . ولما كان عصار الفاكهة سليماً من كل انواع الميكروبات فوق ما فيهِ من الاملاح والحوامض المفيدة للصحة فهو خير من الماء من كل وجه . ولا يقتصر نفعهُ على ذلك بل ان الذين يكثرون من اكل الفاكهة يستغنون بها عن شرب المسكرات على انواعها فيستعيضون بالسليم عن المؤذي وبالنافع عن الضار . ولو بذل علماء الارض جهدهم ليصنعوا شراباً يطفئ العطش وقت الحر ويبرد الجسم وينعشهُ وهو مما يلذ طعمهُ ايضاً ما وجدوا شراباً افضل من عصار الفاكهة . وقد يعطش الانسان في يوم شديد الحر فيشرب كوبة بعد اخرى من الماء ولا يروي عطشهُ بل يطلب المزيد واما اذا اكل فاكهة كثيرة الماء كالبطيخ والبرتقال فانهُ يرتوي وينتعش ويستغني عن الماء

سكك الحديد والحكومة

يشيع قوم ان في نية الحكومة المصرية ان تبيع سكة الحديد لشركة اجنبية فان فعلت ذلك تكون قد خالفت الخطَّة التي تتبعها دول اوربا الآن وهي ابتياع سكك الحديد من الشركات التي انشأتها . فقد سبقت

الى ذلك حكومة بروسيا وجارتها فيهِ كل الولايات الالمانية والحكومات الاوربية . وكان في روسيا سنة ١٨٨٢ اربعة عشر الف ميل من سكك الحديد ولم يكن للحكومة منها سوى اربعين ميلاً فصار فيها الآن ٢٤٣٠٠ ميل ثلثاها للحكومة يضاف اليها السكك الكبيرة التي مدتها في اسيا . وكل السكك في السرب ورومانيا للحكومة وثلثا سكك الدنمارك للحكومة وكل سكك بلجكا لحكومتها وكذلك كل سكك ايطاليا لحكومتها

ميكروب جديد في الدوسنطاريا

قال الدكتور لساج من مستشفى باستور انهُ اكتشف ميكروباً جديداً في دم المصابين بالدوسنطاريا . والمصابون بها كانوا آتين من الصين والهند الصينية وبلاد الجزائر . ويكثر هذا الميكروب في دمهم اذا اشتدَّت الدوسنطاريا ويقل اذا خفَّت فاذا لم يكن سبباً لها فلهُ علاقة شديدة بها وشكلهُ كمثري كبالون عُلِّقت بهِ مركبتهُ

القطن المصري

كنا نسمع ان بعض الناس يجنون ثمانية قناطير او تسعة من الفدان الواحد فنظنهُ ضرباً من المبالغة الى ان اتانا المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية المصرية ودعانا لمشاهدة القطن الذي زرعهُ في اراضي المدرسة الزراعية وكان قد جمع الجمعة الاولى منهُ فبلغ متوسطها من كل فدان نحو ستة قناطير ورأينا القطن واللوز عليهِ كثير جدًّا كانهُ لم يجنَ منهُ شيء وهو يقدِّر انهُ سيجمع منهُ ستة قناطير اخرى من كل فدان على الاقل . والقناطير هي القناطير المصرية الكبيرة المستعملة في الوجه البحري . وغاية ما استعملهُ لهذه الاطيان انهُ سمد القطن بسماد كيماوي بلغ ثمنهُ نحو جنيه لكل فدان . ومتى اتم جمع قطنهِ وحلجهُ كتب عنهُ تقريراً مسهباً فننشرهُ افادة لارباب الزراعة

وقد شاهدنا القطن في اماكن مختلفة في شهر سبتمبر الماضي في الوجه البحري والوجه القبلي ولا شبهة في انهُ اجود مما كان في العام الماضي ولكنهُ ليس اجود مما كان في العام الذي قبلهُ ولا يماثلهُ ولا نظن ان موسم هذا العام يزيد على ستة ملايين قنطار وقد لا يبلغها

اثمن آلات التصوير

صنع معمل انكليزي آلة تصوير شمسي لسلطان مراكش ثمنها الفان ومئة جنيه وهي صغيرة لا تفرق اجزاؤها الجوهرية عن اجزاء آلات التصوير العادية ولكن معدنها الذهب ففيها منهُ ١٥٠ اوقية وقد زاد ثقلها بهِ فبلغ ١٣ رطلاً والثقل العادي لما كان من جرمها

٥ ارطال ويقال ان سلطان مراكش من الغواة في صناعة التصوير الشمسي .

الكلاب والمقانق

ثبت لرجال الحفظ في مدينة لندن ان بعض صانعي المقانق فيها يصنعونها من لحم الكلاب والقطط وقد قبض على الذين يفعلون ذلك في العام الماضي وغُرِّموا غرامةً شديدة لكن ذلك لم يثنهم عن عملهم لانهم يربحون ربحاً وافراً من هذه الحرفة وتقول جريدة اللانست الطبيةُ ان عمل المقانق من لحم الكلاب والقطط شائع في اماكن كثيرة في البلاد الانكليزية وصنَّاعها يعالجونهُ بالبهارات الكثيرة حتى يختفي طعمهُ ويلونونهُ ايضاً حتى يروق منظرهُ لعين الرائي . فهل يفعل صانعو المقانق في مصر ما يفعلهُ اخوانهم في البلاد الانكليزية مسألة يترك حلها لرجال الصحَّة

ماء الشرب

دخلنا بالامس بلداً صغيراً من بلدان الفلاحين ورأينا النساء يستقينَ من ترعة مارة فيهِ وفي الترعة فوق المستقى رمَّة حيوان مات بمرض المواشي المنتشر الآن في بعض انحاء القطر . ثم رأينا اهل البلد يشربون هذا الماء من غير ترشيح ولمَّا لمناهم على ذلك اخذوا سبيل الدفاع كما هي عادتهم ولكننا اصررنا على لومهم وابنَّا لهم مضار شرب هذا الماء ولا سيما بعد طرح رمَّة الحيوان المريض فيهِ فاقتنعوا ووعدونا بابعاد الرمة وطمرها بالتراب . ولو كان الفقهاء المنتشرون في كل بلدان هذا القطر يدرسون مبادئ حفظ الصحة ويرشدون الناس الى اتقاء المضار لزاد نفعهم اضعاف الاضعاف

مدرسة قصر العيني الطبيَّة

لقد زاد إِقبال الطلبة على مدرسة قصر العيني الطبيَّة فجاءها هذه السنة اربعة وعشرون تلميذاً طالبين الانتظام فيها . والظاهر انها مترددة في قبولهم لانها لا تستطيع ان تقبل مجاناً الاَّ عدداً محدوداً من الطلبة . وحبذا لو جرت نظارة المعارف على خطَّة تجري عليها بلدان كثيرة حيث لا بكون التعليم مجانياً وهي ان تبيح للعشرين او الثلاثين الأُوَل من نائلي الشهادة الثانوية دخول المدارس العليا كمدرسة الطب ومدرسة الحقوق مجاناً على نفقتها فان هؤُلاء قد يصيرون من اعظم رجالها ولو كانوا من افقر الناس فلا يكون من مصلحتها حرمانهم من التعليم لفقر والديهم

الطاعون

لا يزال الطاعون في القطر المصري لكنهُ خفيف الوطأة جداً يصاب بهِ اثنان او ثلاثة في الاسبوع ولا يبعد ان يمحى اثرهُ في اواسط هذا الشهر

فهرس الجزء العاشر من المجلد السادس والعشرين

٨٦٥ مراصد الافلاك (مصوَّرة)
٨٧١ مجمع ترقية العلوم البريطاني وخطبة رئيسهِ
٨٧٦ الرئيس مكنلي (مصوَّرة)
٨٨٠ تأثير الوحام
٨٨١ عمران دمشق . لمحمد افندي كرد علي
٨٨٧ استئصال المعدة . للدكتور سعيد ابو جمره
٨٩٢ رواية امينة
٩٠١ المدارس الروسية في سورية . لاسعد افندي داغر
٩٠٥ داء الصلع ودواؤُهُ
٩ ٧ الوباء الجارف
٩١٢ اكتشاف اميركا واحتلالها (مصوَّرة)
٩١٩ مستقبل الصين . للامير شكيب ارسلان
٩٢٥ الحول وعلاجهُ . للدكتور ابرهيم شدودي
٩٣٠ امبراطورة فردرك (مصوَّرة)

* * *

٩٣٤ باب تدبير المنزل ✲ نزهة الاطفال . اعتنِ بالصحة ولا تبالِ بالحياة . اسهال الاطفال
٩٣٧ باب المراسلة والمناظرة ✲ الوحام والاجنه . مدرسة خيرية لبنانية
٩٣٩ باب التقريظ والانتقاد ✲ تاريخ الامير حيدر . سبائك التبر في احوال الجبر . تعليم قراءة الخطوط العربية . النتيجة السنوية والنعازي الروحانية . الفرائد الجمانية . فتح المنان في علم تقويم البلدان . شهيدة الامانة
٩٤٣ باب المسائل ✲ ملك مصر في عهد ابرهيم . غلاء الخزف الصيني . ورثة الالقاب . اكل الحيات . صورة الجنيه الانكليزي . تنظيف ريش النعام . تجعيد الريش . وقاية الريش من العث . دليل البلدان . اختلاف اللغات . غسل المنسوجات الحريرية . اسم اسيوط . روايات ايبرس . رواية تاريخ مصر . علامة النسبة . معنى خان . الختان الطبيعي . اعالة الفقراء . جبل طارق . آثار مصرية في غير مصر . المشاهير والنوائب . نفع الاجانب . سوس الرمان
٩٤٩ باب الاخبار العلمية ✲ وفيهِ ٣٣ نبذة

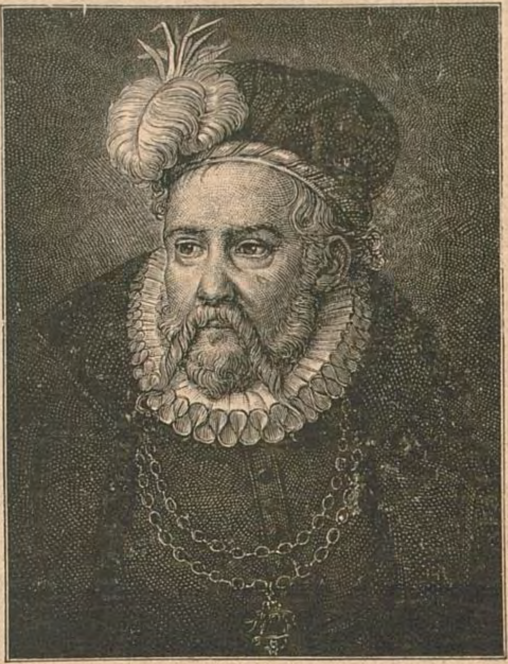

تيخو براهي الفلكي

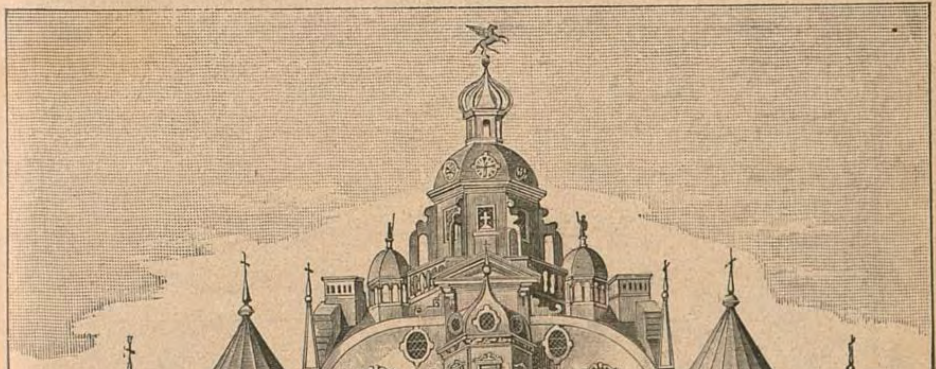

الاورانينبرج (اي برج السماء) مرصد تيخو براهي